تاهرت-تاقدمت: معطيات ميدانية ورؤية جديدة

الأستاذ: عبدالقادر دحدوح*

الملخص:

تعد مدينة تاهرت-تاقدمت من أقدم المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط(الجزائر)، وقد كان بناؤها في سنة١٤٤هـ/٧٦٠م على يد عبد الرحمان بن رستم، واتخذها عاصمة لدولته، وبعد سقوط هذه الدولة في سنة ٢٩٦هـ بدأ الخراب يدب في المدينة شيئا فشيئا وانمحى أثرها، إلى أن جاء الأمير عبد القادر في سنة١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وأعاد بنائها، ونقل إليها كرسي الحكم، وجعلها عاصمة له بدلا من مدينة معسكر مسقط رأسه، وعرفت في عهده باسم تاقدمت.

وقد شهد الموقع الأثري لهذه المدينة عدة حفريات، كشفت أجزاء من معالمها، غير أن هذه الحفريات تخلط في كثير من الأحيان بين المعالم الرستمية ومعالم الأمير عبد القادر، وفي موضوعنا هذه نود توضيح هذا الإشكال ونحاول تحديد معالم تاقدمت قلعة الأمير ومعالم تاهرت الرستمية.

Tahert-Takdempt : Nouvelle lecture des données de fouille.

La ville de Tahert-takdempt l'une des plus anciennes villes islamiques du Maghreb central (Algérie) fut édifiée en 144 / 761 par Abderrahmane ibn Rustum. Capitale de l'état Rostémide jusqu'en 296, date à laquelle commence sa ruine. Elle demeurera dans l'oubli jusqu'en 1252/1836 quand l'émir Abdelkader y transfèrera le siège de son commandement et en fera sa capitale sous le nom de Takdempt.

Les nombreuses fouilles effectuées sur le site de Tahert-Takdempt ont permis la mise à jour de plusieurs monuments de la ville, pourtant une certaine confusion demeure dans l'attribution des vestiges découverts aux deux phases d'occupation connues : l'époque rostémide et l'époque de l'émir Abdelkader. Dans cette communication, nous ferons le point sur cette question et tenterons de préciser les vestiges de chaque époque.

* جامعة منتوري قسنطينة الجزائر

تمهيد:

تعد مدينة تاهرت-تاقدمت من أقدم المدن الإسلامية بالمغرب الأوسط(الجزائر)، وقد كان بناؤها في سنة١٤٤هـ/٧٦١م على يد عبد الرحمان بن رستم، واتخذها عاصمة لدولته، وبعد سقوط هذه الدولة في سنة ٢٩٦هـ بدأ الخراب يدب في المدينة شيئا فشيئا وانمحى أثرها، إلى أن جاء الأمير عبد القادر في سنة١٢٥٢هـ/١٨٣٦م وأعاد بنائها، ونقل إليها كرسي الحكم، وجعلها عاصمة له بدلا من مدينة معسكر مسقط رأسه، وعرفت في عهده باسم تاقدمت.

وقد شهد الموقع الأثري لهذه المدينة عدة حفريات، كشفت أجزاء من معالمها، غير أن هذه الحفريات تخلط في كثير من الأحيان بين المعالم الرستمية ومعالم الأمير عبد القادر، وفي مداخلتنا هذه نود توضيح هذا الإشكال ونحاول تحديد معالم مدينة تاقدمت الأمير ومعالم تاهرت الرستمية.

١- أصل التسمية:

يعتبر اسم تاهرت-تاقدمت اسمان لمدينة واحدة، عرفت بهما منذ أول تأسيسها على يد عبدالرحمن بن رستم في سنة ١٤٤هـ/٧٦١م غير أن الاسم الذي شاع أكثر في الأول هو اسم تاهرت أو تيهرت، ثم بدأ يقل استعمال هذا الاسم ليحل محله اسم تاقدمت، حيث كانت في القرن١٠هـ/١٦م تعرف بهذا الاسم، فالحسن الوزان لما تحدث عن هذه المدينة ذكر اسم تاقدمت دون تاهرت([1])، ولما جاء الأمير عبدالقادر اعتمد اسم تاقدمت ولازال إلى يومنا هذا.

أما بخصوص معنى الكلمتين، فالأولى على حسب البكري تعني بالبربرية "الدف"، حيث يقول في هذا الشأن: «فنزلوا موضع تاهرت اليوم، وهو غيضة أشبة، ونزل عبدالرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء فيه، فقالت البربر: نزل تاهرت، تفسيره الدف لتربيعه([2])»، وتؤكد هذا التفسير المعاجم البربرية والقبائلية مثل المعجم الفرنسي-البربري والمعجم الفرنسي-القبائلي([3]).

---

[1])- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الاخضري، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٨٣، ج٢، ص٤٠.

[2])- ابوعبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، نشر دوسلان، الجزائر، ١٨٥٧، ص٦٧.

[3])- عن هذه المعاجم انظر: F. Patorni, L'émir el Hadge Abdelkader, règlement militaire avec appendice, Alger, 1889, P29.

أما اسم تاقدمت فيقول عنه الحسن الوزان بأنه يعني "قديم" أطلق عليها لوجود آثار قديمة بها، وحسب ج.مارسي(G.Marçais) ود.لامار(D.Lamar) فان هذه الكلمة أي "قديم" انتقلت من العربية إلى البربرية بعد أن أضيفت إليها أدوات التأنيث فصارت تاقدمت([٤]).

٢- الموقع الجغرافي:

تقع مدينة تاهرت –تاقدمت الأثرية على بعد ٨كلم غرب مدينة تيارت، وهي تحتل موضعا جغرافيا مكونا من هضبتين ضمن سلسلة جبل جزول التي يتراوح ارتفاعها على مستوى سطح البحر بين ٨٠٠م و١٠٠٠م، وقد صارت اليوم مقرا لبلدية تسمى ببلدية تاقدمت، ورغم وجودها في مكان مرتفع إلا أنها تطل على أراضي مستوية خصبة وصالحة للزراعة، تكثر فيها مصادر المياه المتمثلة في واد مينه وروافده والعديد من العيون.

كما يتميز الموقع بمناخ بارد شتاءا وجاف صيفا، معدل تساقط الأمطار به تقدر بـ٥٠٠ملم سنويا، ومعدل الحرارة يبلغ 14,44° سنويا([٥])، ولقد عرفت المنطقة ببرودة مناخها منذ القدم حيث يقول فيها ابو بكر بن حماد الصنهاجي([٦]):

ما أخشى البرد وريعانه وأطراف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من تحت
فنحن في بحر بلا لجة تجري بنا الرياح على السمت
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذمي بالسبت

وقال آخر من المنطقة لما كان في الحجاز مخاطبا الشمس:«احرقي ما شئت فوالله انك بتاهرت لذليل»([٧])، وقال عنها البكري بأنها:«شديدة البرد كثيرة الغيوم والثلج » ([٨]).

٣- نبذة تاريخية:

لقد كانت منطقة تاهرت-تاقدمت معروفة منذ فترات ما قبل التاريخ، حيث ترجع إلى هذه الحقبة العديد من المواقع الأثرية التي عثر فيها على أدوات حجرية ونقوش صخرية وبقايا عظمية، والتي نذكر منها موقع كولمناطة وقرطوفة وجبل جزول وسيدي خالد

---

[٤]) G.Marçais et D.Lamar, «Recherches d'Archéologie Musulmane:TIHERRT-TAGDEMT », in Revue Africaine, xc, (1946), P36.

[٥]) – تقرير سنة ١٩٩٤ بأرشيف بلدية تاقدمت.

[٦])- ابوعبد الله محمد الصنهاجي ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق جلول احمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٤٠.

[٧])- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٥، ج٢، ص٨.

[٨]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٧.

وكروم سيريرو(Serrero) وكروم بوباي(Boubay) وعين شريطة وعين كيده ومحطة الزند ونقوش كاف بوبكر بسيدي الحسني ووادي سفالوا بمشرع الصفا([٩]).
وفي الفترة القديمة كانت المنطقة ضمن إقليم مملكة ماصيصيليا التي كانت تسيطر على الجزء الغربي من الجزائر والمغرب، لتصبح بعد ذلك في يد ماسينيسا، الذي ضم هذه المملكة إلى مملكة ماصيليا بداية من سنة٢٠٣ق.م([١٠]).
أما الاستيطان الروماني فيحتمل أن أول وجود له بالمنطقة كان مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث ميلادي، متزامنة مع أشغال انجاز خط الليمس الثاني الذي كان يعبر على تيارت، متخذا من تيارت وعين سبيبة وتخمارت(كهور بروكوريوم) مراكز أساسية له، إضافة إلى خط ثالث أنشئ بعد ذلك جنوب هذا الخط، والذي تتمثل بقاياه في آثار حصن عين بنية التي على ضفاف وادي فايجة بإقليم الناضور، وآثار حصن عين كريميس جنوب فرندة.
لكن هذا الاستيطان لم يلبث وان برزت إليه مقاومة محلية عصفت به، وأسست مملكة كانت تسمى بمملكة الونشريس، وقد كان ذلك مع أواخر القرن الرابع ميلادي، وان لم تكن عاصمة هذه المملكة غير محددة وغير معروفة لدينا، إلا أن وجود أضرحة الاجدار بفرندة له دلالة على أن عاصمة هذه المملكة من دون شك كانت قريبة من الاجدار([١١]).
بعد حملة الفتح الإسلامي، التي قام بها عقبة بن نافع الفهري في بلاد المغرب سنة٦٢-64هـ/683-681م، أصبحت القبائل التي كانت تعمر المنطقة كقبيلة مطماطة ولواتة وهوارة مسلمة بعد قتال عنيف دار بينها وبين عقبة، ومن ذلك الحين بقيت تلك القبائل خاضعة لأوامر الولاة المسلمين بالقيروان، إلى أن جاءها عبدالرحمن بن رستم سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، وبنى بها مدينة تاهرت، واتخذها عاصمة لدولة عمرت أكثر من قرن ونصف([١٢]).

---

[٩]) قلماوي(عمر)، «لمحة على فترة ما قبل التاريخ بولاية تيارت المفاهيم الحالية والمنظور المستقبلي»، عن مجلة بحوث، جامعة الجزائر، العدد٣، السنة١٩٩٥، ص٧٦-٧٧. انظر أيضا:
P.Cadenat, «Atlas Préhistorique De L'Algérie feuille Nº33 Tiaret», in Libyca, T : XIV, 1956, P.24-25. De BAYLE.R D.H et R. Calvet, «Le Site De Mécherasfa Sur La Haute Mina Eperon Barré Et Nécropoles», in Libyca, 1966, P.355-378.

[١٠]) محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، شركة دار الأمة، الجزائر، ١٩٩٨، ص٥٠-٥١، ٨٢-١١٣.

[١١]) محمد البشير شنيتي، موريطانيا القيصرية دراسة حول الليمس ومقاومة المور، أطروحة دولة في تاريخ وآثار المغرب القديم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ١٩٩١-١٩٩٢، ج١، ص ٢٤٣-٢٤٨، ٣٠٥-٣١١.

[١٢]) المراكشي ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.كولان و إ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٠، ج١، ص٢٤-٢٥. انظر ايضا:

لقد كانت الدولة الرستمية في بدايتها قوية مزدهرة، لكن مع منتصف القرن ٢هـ/٨م بدأت تضعف وتنهار بسبب الحروب والفتن الداخلية، إلى درجة أنها لم تصمد أمام عبدالله الشيعي سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م، واستولى عليها، وولاها ابوحميد دواس اللهيصي، وفي سنة ٢٩٩هـ/٩١٢م ولي عليها مصالة بن حبوس المكناسي، إلى أن قتله الثائر محمد بن خزر المغراوي الزناتي سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، وبعدما استرجعتها الدولة الفاطمية من محمد بن خزر ولي عليها يصل بن حبوس إلى أن توفي سنة٣١٩هـ/٩٣١م، ثم خلفه عليها ابو مالك بن يغمراسن بن ابي شحمة اللهيصي، وقام عليه أهل البلد وأخرجوه منها سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م، وبقيت منذ ذلك الوقت خاضعة للدولة الفاطمية يولون عليها الولاة، إلى أن افتكها منهم بنو خزر المغراويين سنة ٣٣٣هـ/٩٤٥م، واستطاع ابو القاسم المنصور الفاطمي أن يسترجعها مرة أخرى، وولى عليها يعلي بن محمد اليفرني سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م([١٣]).

وبعد رحيل المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة ٣٦١هـ/٩٧١م، أصبحت تاهرت تابعة للدولة الزيرية، إلى أن استولى عليها زيري بن عطية المغراوي سنة٣٨٩هـ/٩٩٩م([١٤]).

وفي سنة٤٠٩هـ/١٠١٨م صارت تاهرت تابعة للدولة الحمادية([١٥])، وازدهرت مرة ثانية بعد حروب وفتن وعدم استقرار لمدة اكثر من قرن، حيث يقول الادريسي عنها: «وبها ناس من البربر، ولهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة، وبأرضها مزارع وضياع جمة، وبها من نتاج البراذين والخيل كل حسن»([١٦]).

وفي سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م استطاع يوسف بن تاشفين أن يستولي على المغرب الأوسط بداية من تلمسان وتاهرت وتنس إلى الجزائر، ومنذ ذلك الوقت بقيت تاهرت تابعة للدولة المرابطية إلى أن سقطت هذه الدولة في سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م، وخلفتها الدولة الموحدية على ملك المغرب والأندلس، ولكن تاهرت لم تدم طويلا تحت سيطرة الموحدين، واستولى عليها ابن غانية سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وخربها فكان ذلك آخر عهد لها([١٧]).

عبدالرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٤، ج١، ص١٦٥.

[١٣]) المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧-١٩٨. انظر أيضا: ابوعبد الله محمد الصنهاجي ابن حماد، المصدر السابق، ص٤٥.

[١٤]) المراكشي ابن عذاري ، المصدر السابق، ج١، ص٢٤٩.

[١٥]) رشيد بورويبة، مدن مندثرة تهرت سدراتة اشير قلعة بني حماد، نشر وزارة الإعلام والثقافة، مركب الطبع الرغاية، الجزائر، ١٩٨١، ص٣٧.

[١٦]) ابوعبدالله محمد الشريف الادريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وتعليق، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣، ص٨٦.

[١٧]) عبدالرحمن ابن خلدون، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٢، ج٦، ص٢٢٠.

وفي ذلك الوقت كانت تاهرت وما جاورها محل اهتمام من طرف بني توجين، إلى أن ألحقوها بإمارتهم التي حكمت من المدية شرقا إلى سعيدة غربا، والى هذه القبيلة ينتمي أولاد عريف وهم الذين لجأ إليهم ابن خلدون في ذو القعدة من سنة ٧٧٦هـ/مارس-افريل١٣٧٥م، واستقر بقلعتهم المسماة بقلعة بني سلامة([١٨]).

بينما بقيت تاهرت على حالها من الخراب، كما يشهد بذلك الحسن الوزان عندما زارها في القرن١٠هـ/١٦م، حيث قال: «لم نر شيئا آخر حاليا إلا بقايا تشييدات كما لاحظته أنا شخصيا»([١٩]).

ولم تقم لتاهرت قائمة إلى أن جاء الأمير عبدالقادر وبنى فيها قلعته، بعد ان رأى كلوزيل احتل معسكر سنة ١٨٣٥ بسهولة لعدم حصانتها ولقربها من قاعدة الاستعمار الفرنسي بوهران، ومن ثم فكر في اختيار موقع لبناء عاصمة جديدة بدل معسكر، ووقع اختياره على تاهرت التي اشتهرت باسم تاقدمت، وبدأت أشغال البناء بها خلال شهر محرم١٢٥٢هـ/ماي١٨٣٦ حسب شرشل([٢٠])، ومع نهاية شهر جمادي الأولى١٢٥٢هـ/سبتمبر١٨٣٦حسب دي فرانس([٢١])، ويبدو أن التاريخ الأخير هو الأنسب، لكون دي فرانس كان حاضرا أثناء بداية الأشغال.

كان الموقع حسب دي فرانس منحدرا قليلا، تغطيه الحجارة، وكانت توجد فيه بعض البقايا من أسوار وأبراج وقصبة الرستميين، وعلى هذه الأسس بنى الأمير عبدالقادر قلعته الجديدة، حيث كان المعسكر يقع في سفح ربوة صغيرة قريبة من أنقاض المدينة الرستمية، وعلى مسافة قصيرة من المنبع([٢٢]).

ولما اختار الأمير الموقع وعينه وعزم على بناء قلعته فيه، أمر برفع الأنقاض وإزالة الركام وانطلاق الأشغال، وجاءه من معسكر الناس بخمسين حمارا محملين بالفؤوس وشتى أنواع أدوات الحفر والبناء([٢٣])، وساندته القبائل المجاورة بالمؤونة والزاد بعد أن أعفاها من الضريبة، وأرسلت له المدية وملیانة الاجبان والفواكه المتنوعة([٢٤])، ولم تتم

---

[١٨]) محمد طه الحاجري، ابن خلدون بين حياة العلم ودنيا السياسة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص١٢٣-١٢٤.

[١٩]) الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص٤١.

[٢٠]) شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبدالقادر، ترجمه وقدم له وعلق عليه ابوالقاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢، ص١٣٧.

[٢١]) نقلا عن رشيد بورويبة، «تاقدمت عاصمة الأمير عبدالقادر»، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد٨٢، السنة١٩٨٤، ص ٩٩. انظر أيضا:

E.Alby, Histoire des prisonniers français en Afrique de puit la conquête, t:1, Paris, 1847, P158.

[٢٢]) نقلا عن: رشيد بورويبة، « القلاع والحصون والمؤسسات التي أنشأها الأمير عبدالقادر»، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، العدد٧٥، السنة١٩٨٣، ص١٢٤.

[٢٣]) E.Alby, op.cit, P158.

[٢٤]) شارل هنري شرشل، المصدر السابق، ص١٣٧.

أشغال البناء إلا في سنة١٢٥٥هـ/١٨٣٩م، حيث يشير دوماس في رسالة مؤرخة بيوم ٩ديسمبر١٨٣٨ إلى أن أعمال البناء مازالت جارية، وفي رسالة أخرى بتاريخ ١٧ افريل١٨٣٩ يقول بأنه يتم نقل القرميد من معسكر إلى تاقدمت([٢٥]).
وبعد ان تمت الأشغال نقل الأمير أهله، وأهل دائرته وخاصته([٢٦])، وكان معه في تاقدمت خليفته ووزير خارجيته ميلود بن عراش وابن عبو المسؤول عن الشؤون المالية لأسرة الأمير، وأمين خزينته ليون روش المدعو "عمر"، وكان أيضا مكلفا بإدارة شؤون العمال الأوربيين ومترجما، وعين الأمير عبدالقادر على تاقدمت قائدا يدعى بلقريدر حسب دوماس([٢٧])، بينما اسكوت يقول بان الأمير في شهر ماي ١٨٤١ عين خليفة جديدا يسمى ابن بكير([٢٨])، وكان للقلعة حارسا يسمى محمد بن جيلالي ابن عم الامير([٢٩]).
ولما كانت قلعة تاقدمت عاصمة للدولة الجزائرية، فان الناس قصدوها من كل مكان، فكان يسكن بها العرب والأندلسيون والكراغلة وغيرهم، ممن توافد عليها من معسكر والمدية ومستغانم ومازاغران وشرشال وملیانة وشرشال وملیانة، إضافة إلى هؤلاء لجأت مجموعة تتراوح بين٢٠٠و٣٠٠نسمة من اليهود الإسرائيليين، وكان عدد سكانها في سنة ١٨٤١ لا يتجاوز ٥٠٠٠ نسمة([٣٠]).
أما عن إقامة الأمير عبدالقادر بعاصمته الجديدة فانه لا يمكننا أن نحددها بالضبط، لكن يمكننا أن نعطي بعض الفترات والتواريخ التي تواجد فيها الأمير بقلعته، لقد كان الأمير في الأيام الأولى من بناء القلعة حاضرا في شهر ماي أو سبتمبر سنة١٨٣٦، وكان يتفقد الأشغال بنفسه، ومن دون شك انه بقي بها فترة من الزمن([٣١]).
وفي سبتمبر ١٨٣٧ بعدما استعاد الأمير تلمسان رجع منها إلى تاقدمت لمعاينة الأشغال، وبعد إقامة قليلة اتجه إلى معسكر -التي مازالت في ذلك الوقت عاصمة لدولته- لاستقبال

---

[٢٥]) G.Yver, Correspondance du Capitaine Daumas Consul a Mascara, 1837-1839, Alger, 1912, P424.

[٢٦]) محمد بن عبدالقادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٤، ص٣١٣.

[٢٧]) G.Yver, op.cit, P.433,623.

[٢٨]) الكلونيل اسكوت، مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبدالقادر عام١٨٤١م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص١١٢.

[٢٩]) G.Yver, op.cit, P652.

[٣٠]) الكلونيل اسكوت، المصدر السابق، ص٨٨. انظر أيضا: شارل هنري شرشل، المصدر السابق، ص١٣٧. G.Yver, op.cit, P.212, 224, 225.

[٣١]) رشيد بورويبة، « القلاع والحصون»، المرجع السابق، ص١٢٤.

مبعوث ملك فرنسا المحمل بالهدايا، وبعد انتهاء مراسم الاستقبال عاد الأمير إلى تاقدمت، ومنها اتجه إلى إخضاع القبائل الجنوبية([٣٢]).
في ٢٤ماي ١٨٣٨ وصل الأمير إلى تاقدمت بعد مغادرته معسكر بوخرشفة، ثم غادرها ليعود إليها في أوائل شهر جوان ١٨٣٨، وبقي هنالك يقضي بين الناس ويشرف على أعمال البناء التي لم يفرغ منها بعد، ولم يغادرها إلا في يوم ١٢ جوان ١٨٣٨ على رأس جيش قوامه ٦٠٠٠ فارس و٣٠٠٠ مشاة وستة مدافع لغزو حصن عين ماضي([٣٣]).
ولما انتهى الأمير من حصار حصن عين ماضي ولى يوم ٢١ جانفي ١٨٣٩ إلى تاقدمت التي وصلها بعد خمسة أيام، وبعد إقامة وجيزة بها، توجه على رأس جيشه النظامي إلى بوخرشفة في شهر فيفري، لاستقبال صهر الحاكم العام الكلونيل دوصال، لمناقشة مشروع تعديل معاهدة تافنة([٣٤]).
وخلال شهر اكتوبر١٨٣٩ كان الأمير عبدالقادر مقيما بتاقدمت، حيث أرسل إليه خليفته احمد بن سالم فارسان ليخبراه بان الاستعمار الفرنسي قد خرق معاهدة تافنة، ومنها اصدر الأمير أمرا إلى جميع خلفائه للتأهب إلى الحرب، وتوجه هو إلى المدية حيث وصل إليها يوم ٤نوفمبر([٣٥]).
وبعد هذا التاريخ لا نعلم إن عاد الأمير إلى تاقدمت واستقر بها أم لا، ومن دون شك انه لما تجددت الحرب بينه وبين الاستعمار الفرنسي مع أواخر سنة١٨٣٩، كان مشتغلا بالدفاع عن المدية وملیانة وشرشال، وحتى بعد سقوط هذه المدن فانه بقي مرابطا ومحاصرا للحاميات الفرنسية التي تمركزت بها.
ولما تولى الجنرال بيجو القيادة العامة للجزائر، فانه عزم على تحطيم قلعة تاقدمت، حيث أرسل في يوم٢٧ربيع الأول١٢٥٧هـ/ ١٨ماي١٨٤١ قوة من الجيش بلغ عدد أفرادها أكثر من عشرين ألف، وانطلقت الحملة من مستغانم واتجهت نحو تاقدمت، ولما علم الأمير بخبرها أمر أهل عاصمته بالجلاء منها، فجمعوا أثقالهم وأمتعتهم، وحملوا ما خف من الذخيرة الحربية والمؤن التي كانت فيها، وتسلقوا الجبال المجاورة لها، بعد أن

---

[٣٢]) إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبدالقادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص١٦٨.
[٣٣]) نفسه، ص١٧٢. انظر أيضا: أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبدالقادر الجزائري ١٨٠٨-١٨٤٧، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٨٨٣، ج٢، ص٢٨. G.Yver, op.cit, P211.
[٣٤]) أديب حرب، المرجع السابق، ج٢، ص٣٢. انظر أيضا: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص١٨٣.
[٣٥]) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص١٨٣.

أشعلوا النار في مساكنهم والقلعة ومصنع الأسلحة، وتحولت تاقدمت إلى كتلة هائلة من الدخان والرماد([٣٦]).
ووصلت قوات الاحتلال إلى القلعة يوم ٠٤ربيع الثاني١٢٥٧هـ/٢٥ماي١٨٤١ بدون مقاومة، ماعدا بعض الطلقات النارية التي واجهتهم بها مفرزة من فرسان الأمير التي كانت متمركزة وراء الصخور جنوب تاقدمت، ووجدوا القلعة قد خربت وأحرقت فحطموا ما بقي منها ماعدا المسجد الذي احترمت حرمته، ولم يقيموا فيها إلا يوما واحدا وغادروها يوم ٠٥ربيع الثاني١٢٥٧هـ/ ٢٦ماي١٨٤١([٣٧]).
وبعد مغادرة الجيش الفرنسي لتاقدمت عاد إليها الأمير صباح يوم ٢٨ماي١٨٤١، وأمر بإعادة بنائها من جديد، وعاد إليها سكانها، وبدؤوا يزيلون الأنقاض ويبنون ما تهدم.
وفي يوم ١٦ أوت ١٨٤١ زارها الأمير عبدالقادر، ونزل عند المسجد الرئيسي، وتم استقباله بتسع طلقات من المدافع المركبة في القلعة([٣٨])، وعادت الحياة من جديد إلى تاقدمت، لكن العدو كان مصمما على تخريبها واحتلالها، ولذلك عاد إليها لاموريسيار يوم ١٥ ماي ١٨٤٢، وفي هذه المرة تحصن الأمير في قلعته، وبقي تحت الحصار بضعة أيام وفي إحدى الليالي أراد مباغتة العدو، وخرج ليلا وهجم على لاموريسيار واستطاع أن يلحق به هزيمة وان يفرض عليه الجلاء دون أن يدخل القلعة([٣٩]).
لكن الجنرال لاموريسيار لم ينس تلك الهزيمة، وراح يتحين الفرص إلى أن جاء ربيع سنة ١٨٤٣، حيث نظم حملة قصد بها تاقدمت، ولما علم الأمير بخبره خرج منها وفر إلى الجبال رفقة ١٥٠٠ فارس وغادرها سكانها، وسهل على لا موريسيار منالها، وحتى يكرس الاحتلال في المنطقة انشأ مركزا استعماريا بالقرب منها بتيارت، ومن ثم تم احتلال تاقدمت نهائيا وخربت عن آخرها، حتى لم نعد نرى اليوم منها غير الأطلال([٤٠]).

٤- إشكالية الموقع الأثري:

---

[٣٦]) الكلونيل اسكوت، المصدر السابق، ص٩٦-٩٧ . انظر أيضا: الحاج مصطفى بن التهامي، سيرة الأمير عبدالقادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥، ط١، ص١٤٧. رشيد بورويبة، « القلاع والحصون»، المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٨. A.Belkhodja, Tiaret Mémoire d'une Ville, Houma,1998, P.17-18.

[٣٧]) رشيد بورويبة، « القلاع والحصون»، المرجع السابق، ص١٤٩.
[٣٨]) الكلونيل اسكوت، المصدر السابق، ص٩٦-٩٧
[٣٩]) بديعة الحسني الجزائري، الأمير عبدالقادر الجزائري سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، سلام للترجمة والنشر، ط٢، دمشق، ١٩٩٢، ص١١٥-١١٦.
[٤٠]) شارل هنري شرشل، المصدر السابق، ص١٣٧. انظر أيضا: أديب حرب، المرجع السابق، ج٢، ص٤٢٥.

كما رأينا في النبذة التاريخية فان الموقع عرف استقرارا منذ القدم، وان الموقع عمر خلال مرحلتين أساسيتين، الأولى على يد عبدالرحمن بن رستم والثانية على يد الأمير عبدالقادر الجزائري، ومن هنا يطرح إشكال الفصل بين آثار مدينة تاهرت الرستمية وآثار تاقدمت قلعة الأمير عبدالقادر، وللفصل في هذا الإشكال لابد من الرجوع إلى النصوص التاريخية، فأما بالنسبة للمدينة الرستمية فان النصوص لا تحددها بشكل دقيق، حيث يذكر البكري أن تاهرت تقع: «في سفح جبل يقال له جزول...وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة وهو في قبلتها، ونهر آخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش ومنه شرب أهلها وأرضها وهو في شرقيها...وهذه تاهرت الحديثة، وعلى خمسة أميال منها تاهرت القديمة، وهي حصن برفجانة، وهو في شرقي الحديثة، ويقال أنهم لما أرادوا بناء تاهرت كانوا يبنون النهار فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنو حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة»([٤١]).

ابن حوقل يقول: «تاهرت مدينتان كبيرتان، إحداهما قديمة أزلية والأخرى محدثة، والقديمة ذات سور، وهي على جبل ليس بالعالي، وبها كثير من الناس»([٤٢]). أما ياقوت الحموي([٤٣]) والقزويني([٤٤]) فيقولان بان تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين، احدهما قديمة والأخرى حديثة، ويتفق مع هذا الرأي غيرهما كاليعقوبي([٤٥]) والادريسي([٤٦]) وابن عذاري([٤٧]).

ومن خلال هذه النصوص نرى أن هناك اتفاق في كون أن تاهرت اسم لمدينتين، تبعد الواحدة عن الأخرى بخمسة أميال([٤٨]) حسب البكري وابن عذاري، ومتقابلتين حسب ياقوت الحموي والقزويني، في حين يخالفهما صاحب كتاب الاستبصار([٤٩]) والحسن الوزان([٥٠]) فهي حسبهم مدينة واحدة.

ولا يتوقف الاختلاف بين النصوص عند هذا، فحسب البكري فان تاهرت القديمة لما أرادوا بناءها كانوا يبنون بالنهار فإذا أصبحوا في الغد وجدوه قد تهدم، مما دفعهم

---

[٤١]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٦،٦٧.
[٤٢]) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، د.ت، ص٨٦.
[٤٣]) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج٢، ص٧.
[٤٤]) زكريا ابن محمد بن محمود القزويني، اثار البلاد واخبار العباد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص١٦٩.
[٤٥]) اليعقوبي، كتاب البلدان، دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨، ص١٠٩.
[٤٦]) ابوعبدالله محمد الشريف الادريسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٥.
[٤٧]) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥.
[٤٨]) الميل وحدة قياس تساوي حوالي ١,٦٠٩كلم، مما يعني ان مسافة خمسة أميال تساوي حوالي ٨كلم.
[٤٩]) مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.ت، ص ١٧٨.
[٥٠]) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠.

بالانتقال إلى موضع تاهرت الحديثة والبناء فيه، ويضيف بأنه في «صفر سنة أربع وأربعين ومائة هرب عبدالرحمن بأهله وما خف من ماله وترك القيروان، فاجتمعت إليه الاباضية، واتفقوا على تقديمه، وبنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا موضع تاهرت اليوم، وهو غيضة أشبة، ونزل عبدالرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء فيه... وادركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هنالك، فلما انقضت الصلاة، ثارت صيحة عظيمة على أسد ظهر في الشعراء فاخذ حيا، واتي به إلى الموضع التي صلوا فيه وقتل هناك، فقال عبدالرحمن بن رستم هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا، وابتدوا من تلك الساعة فبنو في ذلك الموضع مسجدا، وقطعوا خشبه من تلك الشعراء، فهو كذلك إلى اليوم، وهو مسجد جامعها»([٥١]).

ويتفق ابو زكريا يحي بن ابي بكر مع البكري في كون أن تاهرت الحديثة من بناء عبدالرحمن بن رستم، حيث يذكر: «أن جماعة المسلمين اتفقوا أن ينتخبوا موضعا يبنون فيه مدينة تكون حرزا وحصنا للإسلام، فأرسلوا الروافد في الأرض فرجعوا فدلوهم على تاهرت، فاتفق جمهور المسلمين مع أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة أن يأخذوها من غلتها. وقد كانت قبل ذلك غياظا عامرة بالوحوش والسباع والهوام، فلما اتفقوا على عمارتها، أمروا مناديا ينادي، إلى من بها من الوحوش والسباع: أن اخرجوا، فانا أردنا عمارة هذه الأرض، واجلوا لها ثلاثة أيام. وبلغنا أنهم رأوا بها وحشا تحمل أولادها في أفواهها، خارجة منها، فكان ذلك مما رغبهم فيها وزادهم بصيرة في عمارتها وإنشائها. ثم إنهم أطلقوا فيها النيران، وأحرقت النيران ما عليها من أشجار، وقد عمدوا إلى أصول تلك الأشجار فلما جنهم الليل طرقت الخنازير تلك الأشجار، فصاروا يحفرونها حتى أتت على آخرها، حيث شمت ريح ذلك الحيس، فلما أصبحوا، وجدوها كلها مقتلعة على وجه الأرض، ثم إنهم عمدوا إلى مكان فأصلحوه لصلاتهم، فلما أرادوا أن يبنوها انتخبوا أربعة أمكنة واقترعوا عليها أيها يجعلونه للمسجد الجامع، فوقعت قرعتهم على المكان الأول الذي أصلحوه للصلاة، فبنو المسجد الجامع، فاخذوا في إنشائها وعمارتها، فجعلوها ديارا وقصورا»([٥٢]).

ابن عذاري هو الآخر يؤيد هذا الرأي حيث يذكر بان بناء تاهرت الحديثة كان في سنة ١٤٤هـ/٧٦١م، في حين يرجع بناء تاهرت القديمة إلى تاريخ قبل ذلك «بما لا يعرف أوله»، وإنها كانت موجودة منذ العهد الأول للفتوحات حيث يذكر أن عقبة بن نافع الفهري لما غزا المغرب خلال ولايته الثانية(٦٢-٦٤هـ/683-681م) مر بتاهرت «وقد اجتمع الروم والبربر في إقليم تاهرت اجتماعا عظيما، فخطب عقبة الناس ووعظهم، ثم

[٥١]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٨.

[٥٢]) ابو زكريا يحي بن ابي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق وتعليق اسماعيل العربي، المكتبة الوطنية الجزائر، ١٩٧٩، ص٥٣.

زحف إلى الكفار، فالتحم الجمعان، فولى الكفار منهزمين، فأباد فرسانهم وقتل حملتهم، وفرق جمعهم، وسبقتهم خيل المسلمين إلى باب مدينتهم، فأفنوهم وقطعوا آثارهم»([٥٣]).
ومما سبق يظهر لنا أن تاهرت هو اسم لمدينتين، الأولى قديمة يرجع بناؤها إلى فترة ما قبل الإسلام(الفترة القديمة)، وبالاعتماد على ما ذكره البكري بخصوص موقعها الذي يأتي في شرق تاهرت الحديثة وعلى بعد خمسة أميال، فان موقعها من المحتمل جدا أن يكون هو نفسه الذي بنى الاستعمار الفرنسي مدينة تيارت الحالية، خاصة وان هذه المدينة كانت معروفة عند الرومان وكان به معسكر ضمن منشآت خط الليمس([٥٤])، بينما تعتبر تاهرت الحديثة من بناء عبدالرحمن بن رستم وهي المعنية بالموضوع، والتي لا تزال بقاياها وخرائبها ماثلة إلى اليوم بالقرب من مدينة تاقدمت الحالية، وهي على نفس الحال الذي وصفها به البكري تقع فوق هضبة ضمن جبل جزول وفي جنوبها نهر مينة وفي شرقيها نهر صغير تجتمع مياهه من عيون تسمى تاتش.
أما بالنسبة لقلعة الأمير عبدالقادر فإنها حظيت بوصف أكثر دقة من سابقتها، بل وصلتنا عنها مخططات معاصرة لبنائها، حيث يذكر الدكتور بودانس بان قلعة الأمير كانت تقع فوق هضبة في أسفلها واد مينا الذي يبعد عنها بمسيرة عشرة دقائق([٥٥])، وهو ما ينطبق تماما مع مخطط كل من دي فرانس(De France) ١٨٣٦م (انظر الشكل رقم١) و فرنيي(Wernier) سنة ١٨٣٨م(انظر الشكل رقم٢).
أما المعطيات الميدانية، فإحداثيات الموقع تقدر بـ: س366,2 سَ367,2 ع227,3 ع228,3 من خريطة مشرع الصفا(Prévost-Paradol سابقا) رقم ٢١٥ مقياس ١\٥٠٠٠٠، وهو يتكون من ربوتين إحداهما شمالية والأخرى جنوبية، ترتفع الشمالية بـ٨٦٢م على مستوى سطح البحر، والجنوبية بـ٨٥٠م، ومن خلال المقارنة بين هذه المعطيات وما تناقلته المصادر التاريخية، فان مدينة تاهرت الرستمية تكون قد بنيت فوق الهضبة الشمالية، في حين بنيت قلعة الأمير عبدالقادر فوق الهضبة الجنوبية المحاذية لواد مينة، غير أن هذا لا يمنع من تداخل فيما بينهما، حيث لما اتسع عمران المدينة في العهد الرستمي بنيت في خارج أسوارها قصور وحصون([٥٦])، كما تذكر المصادر التاريخية أن الأمير عبدالقادر بنى حصنه المحاذي للقصبة على أنقاض بقايا رستمية([٥٧])، لكنه ومع ذلك تبقى النواة الرئيسية للمدينتين متباعدتين عن بعضهما البعض.

---

[٥٣]) ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج١، ص٢٥-٧٣.
[٥٤]) محمد البشير شنيتي، المرجع السابق، ج١، ص ٢٤٣-٢٤٨.
[٥٥]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٢٧-١٢٨.
[٥٦]) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق محمد ناصر و ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ١٩٨٦، ص١٦، ٦٢، ٨٣، ٨٤.
[٥٧]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير ، المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

وبالرغم من هذا التباعد بين المدينتين تاريخيا وميدانيا إلا أن بعض الباحثين لم يتمكنوا من التمييز بينهما، ونخص بالذكر هنا كل من ج.مارسي(G.Marçais) ود.لامار(D.Lamar)، اللذان قاما بحفرية في الموقع واكتشفا على إثرها قصبة يعتبرانها قصبة الأئمة الرستميين([٥٨])، وقد استغرب منهما هذا كادنا(Cadenat) بعد الاسبار التي أجراها بالموقع، حيث يتساءل هو الآخر عن سبب وضعهما لهذه الفرضية، رغم أن المعطيات التاريخية تشير إلى أنها قصبة الأمير عبدالقادر([٥٩])، ومن تلك المعطيات نذكر ما يلي:

١- وجود هذه القصبة المكتشفة في الربوة الجنوبية، وهي الربوة التي شيد فوقها الأمير عبدالقادر قلعته.
٢- تقارب نتائج الحفرية والمصادر التاريخية بشأن المقاسات الإجمالية للقصبة كما سنبينه لاحقا.
٣- توافق نتائج الحفرية والمصادر التاريخية حول خصائص بعض أجزاء القصبة، مثل وجود الفناء الوسطي والدهاليز.

وبالإضافة إلى القصبة اكتشف الباحثان بقايا معمارية في السهل الذي يوجد أسفل الربوتين، وهما يعتقدان أيضا أنها رستمية وقد كانت تستغل كخزانات للماء، غير أن هذه الفرضية تستحق التوقف عندها أيضا من جانبين:

أولا: أن هذه البقايا لا يمكن اعتبارها خزانا وإنما حماما وذلك للأسباب التالية:

١- لوجوده بعيدا عن أسوار القصبة والحصن، فلو كان خزانا وضع تحسبا لأي حصار لوضع بالقرب منهما وتحت حمايتهما.
٢- احتواؤه على غرف عديدة وبمقاسات مختلفة مفتوحة على بعضها البعض بأبواب، وهي ميزات تفتقد منها الخزانات، التي عادة ما تكون ذات تخطيط بسيط مشكل من غرفة فتحت في احد جوانبها فتحة صغيرة تسمح بمرور الماء، كتلك التي بناها الفاطميون في رقادة والحماديون في القلعة، وأحيانا تكون مشكلة من غرفتين أو أكثر متلاصقة تربط بينها قنوات مثل ما هو الحال في الخزانات الأغلبية في القيروان([٦٠]).

---

[٥٨]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P.33, 41-42.

[٥٩]) P.Cadenat, «Recherches à Tihert –Tagdempt 1958-1959», in Bulletin d'archéologie algérienne, VII(1977-1979), Fasc II, P.394-395.

[٦٠]) رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧٧، ص٤٧٤. انظر أيضا:

M.Solignac, «Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan et des steppes Tunisiennes du VII au XI Siècle», in Annales de l'Institut d'études Orientales, Alger, X, (1952), P.77,81,97,240.

٣- وجود مقاعد حجرية في إحدى غرفه وكوات صماء تتخلل جدرانه وفي جميع غرفه من الداخل، فلو كان خزانا لما احتاج إلى تلك المقاعد ولما احتاج إلى تلك الكوات.
٤- احتواؤه على موقد مازالت آثاره ماثلة إلى اليوم، وهذه ميزة من ميزات الحمامات عبر التاريخ.
٥- وجود باب يؤدي إلى الخارج ، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي دفعت ج.مارسي(G.Marçais) ود.لامار(D.Lamar) إلى الاعتقاد بان هذا المبنى خزانا وهو مفتوح على الخارج!.

ثانيا: أن خزانات المياه يفترض أن تكون داخل أسوار المدينة والبقايا هذه تقع خارج أسوار مدينة تاهرت الرستمية، بينما تذكر المصادر التاريخية أن قلعة الأمير كانت مكونة من قسمين، قسم خاص بالمنشآت الحكومية، وقسم خاص بالمنشآت المدنية. فأما المباني الحكومية فكانت تقع في مكان مرتفع نوعا ما، في القسم الشرقي بالنسبة للمباني المدنية، وكانت تشمل القصبة والحصن والإسطبل، أما المباني المدنية و المتمثلة في المساكن العمومية فهي مبنية على امتداد منحدر الهضبة([٦١])، ومنه فان البقايا المكتشفة تكون ضمن نطاق مدينة الأمير عبدالقادر.

٥- البقايا الأثرية لتاهرت الرستمية:

لقد كانت تاهرت تضم العديد من المباني، ولعل أول ما بدؤوا في تشييده هو المسجد الجامع، وقد كان هذه المسجد مكون من أربع بلاطات([٦٢])، ثم شرع عبدالرحمن بن رستم في بناء داره التي كانت من طين، وتوزع الناس في المدينة مشكلين أحياء، كحي القرويين وحي الكوفيين وحي البصريين، وكان لكل حي مسجد ورحبة خاصة به([٦٣]).

وكانت المدينة تضم عدة قصور، منها قصر عبدالرحمن بن رستم، وقصور افلح بن عبدالوهاب، وقصر ابي بكر بن افلح، وقصر ابن عرفة، ودار ابي اليقضان، وقد كان بعض هذه القصور مشكل من طوابق، حيث يذكر ابن الصغير في حادثة كان القاضي يبحث فيها عن ابنة جارية اختطفت، ودلته أمها على دار يمكن أن تكون فيها، «فدخل الدار وتخلل بيوتها بيتا بيتا وموضعا موضعا فلم ير شيئا، ثم صعد أعلى الدار والمرأة معه فلم يجد شيئا»([٦٤]).

والى جانب القصور بنيت بالمدينة عدة حمامات التي فاق عددها اثني عشر حماما([٦٥])، وخانات عديدة([٦٦])، كما أحيطت المدينة بسور قدر طوله حسب الحسن الوزان بـ«عشرة

---

[٦١]) اسكوت(الكلونيل)، المصدر السابق، ص٨٨-٨٩.
[٦٢]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٨.
[٦٣]) ابن الصغير، المصدر السابق، ص٣٣، ٣٦، ٣٨.
[٦٤]) نفسه، ص٣٨، ٦١، ٧٥، ٨٧، ٩١.
[٦٥]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٨.

أميال كما يلاحظ ذلك من تتبع أسس أسوارها»([٦٧])، وقد فتحت فيه أربعة أبواب هي: باب الصبا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن، ويذكر البكري أيضا أن بتاهرت قصبة كانت تسمى بالمعصومة وهي تشرف على السوق([٦٨]).

ولما توسع عمران المدينة وكثر سكانها بنيت الدور والقصور والحصون خارج أسوارها، حيث بنت نفوسة العدوة التي تتسمى بها، وبنى العجم قصورا لهم، وبعد الفتن التي مرت بها الدولة الرستمية شيد العجم ونفوسة في عدوتهم حصنا تعلوه أبراج، وبنى العرب والجند في مقابل ذلك حصنا يبعد عن حصن نفوسة برمية سهم، وكان يفصل بين هذين الحصنين«نهر يعرف بالنهر الصغير»([٦٩]).

وإذا عدنا إلى الدراسات الأثرية والمعطيات الميدانية، فان المدينة ذات شكل مستطيل حسب ج.مارسي(G.Marçais) ود.لامار(D.Lamar)، وقد قدرا مقاساتها بـ١١٠٠م طولا و٧٠٠الى ٨٠٠م عرضا، ووضعا لها مخططا يتسع للهضبتين الشمالية والجنوبية للموقع(انظر الشكل رقم٣)، وحددا أماكن توزع الأبواب، حيث كان باب الأندلس في الناحية الشمالية المواجهة للأندلس، وباب المطاحن في الناحية الغربية المؤدية إلى واد مينة، وباب الصبا في الناحية الشرقية، بينما كان باب المنازل في الجهة الجنوبية([٧٠])، في حين كادنا واعتمادا على الصور الجوية يرى أن المدينة كانت تحتل الهضبة الشمالية فقط، وان مقاساتها تقدر بـ ٤٠٠م طولا و٢٠٠م عرضا([٧١]).

سور المدينة بني بالحجارة، وتتخلله أبراج مربعة ذات مقاسات(٥×٥م)، تفصلها عن بعضها البعض مسافة ٢٠م، ولا زالت تظهر بعض تلك الأبراج وبقايا من السور(انظر الصورة رقم١)، أما باقي المعالم فإنها هي الأخرى اندثرت، وصارت تحت الأنقاض، ولم يعد يرى منها شيء، وبعد الحفريات التي أجريت فيها من طرف كادنا بين سنتي ١٩٥٨-١٩٥٩ومعطاوي (اواخر الثمانينات وبداية التسعينات) فقد تم الكشف عن بعض البقايا، حيث قام الأول بثلاثة اسبار في محيط المدينة الرستمية، الأول اكتشف فيه بناية مشكلة من ثلاث غرف متتالية، تنفتح على ساحة واسعة مفرشة بالحجارة، الغرفة الأولى مقاساتها (2,80×3,30م)، فتح في الجهة الجنوبية الشرقية منها باب عرضه 0,55م، الغرفة الثانية مستطيلة(7,20×2م)، فتح باب في ضلعها الجنوبي بعرض يتراوح

---

[٦٦]) ابن حوقل، المصدر السابق، ص٨٦.

[٦٧]) الحسن بن محمد الوزان الفاسي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٠.

[٦٨]) ابوعبيد البكري، المصدر السابق، ص٦٦.

[٦٩]) ابن الصغير، المصدر السابق، ص١٦، ٦٢، ٨٣، ٨٤.

[٧٠]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P.3 ٢، ٣٣.

[٧١]) P.Cadenat, «Recherches à Tihert –Tagdempt», op.cit, P ٣٩٤.

بين0,90-0,95م، وتتشكل أرضية هذه الغرفة وسابقتها من طبقة سمكها يصل الى 1,10م، تتكون من ركام من حجارة الدبش والحصى وشقف القرميد والآجر والطين.
الغرفة الثالثة مستطيلة هي الأخرى(3×6,60م)، أرضيتها مبلطة بصفائح حجرية غير منتظمة الأوجه، يتراوح سمكها بين ٦-٨سم وهي متراصة فيما بينها، وفي أسفل جدرانها عثر على بقايا جصية مدهونة، وقد فتح في هذه الغرفة بابان، احدهما في الجدار الجنوبي له نفس المقاسات مع باب الغرفة الثانية، بينما الثاني فتح في الجدار الشرقي، وفي فترة لاحقة أضيف جدار سد من خلاله هذا الباب.
يلي هذه الغرفة وعلى نفس عرض بابها الشرقي ممر صغير يؤدي مباشرة إلى ساحة واسعة، كما فتح في ضلعه الشمالي باب عرضه 0,80م يوصل إلى الغرفة الرابعة، بنيت هذه الغرفة بالآجر، غير انه اندثرت منها جوانب كثيرة، الأمر الذي لم يسمح بإعطاء مقاساتها، كما أنها تعرضت في فترة لاحقة إلى إضافة جدار أمام بابها المذكور، وعلى خلاف الغرف السابقة فقد بلطت أرضية هذه الغرفة ببلاطات آجرية.
من الغرفة الرابعة وعبر باب في جدارها الشمالي ندخل الى الغرفة الخامسة، وهي مستطيلة الشكل تقدر مقاساتها بـ(2,50×7م)، وهي كالغرفة السابقة متقنة البناء، وقد دعم جدارها الشمالي في فترة تالية، وبالقرب من ركنها الشمالي الشرقي توجد فتحة معقودة ارتفاعها يتراوح بين0,80م و١م، يتقدمها حوض صغير يبلغ قطره وعمقه 0,30م.
والى جانب هذه الغرف توجد أجزاء أخرى، لكن الحفرية لم تتواصل فيها، وقد عثر في هذا السبر -إضافة إلى البقايا المعمارية السالفة الذكر- على عدة تحف فخارية وخزفية ومعدنية وقطع زجاجية، وبقايا القرميد الذي قدرت مقاساته بـ١٥ إلى ١٦سم طولا 9,5إلى10سم وارتفاعه بين4 و4,5سم، كما عثر على نوعين من الآجر: الأول مقاساته 26,5×12,5×٤سم، والثاني٢٤×١٢× ٤سم([٧٢]).
أما السبر الثاني فقد كان بالقرب من سور المدينة وأحد أبراجها، ونظرا لعدم العثور على نتائج مشجعة تم توقيف الحفر فيه، ومما عثر في هذا المكان جزء من بناية يتشكل من أربع غرف، الأولى على شكل ربع دائرة، فتح فيها بابان، الأول في الركن الجنوبي الغربي، والثاني في وسط الجدار الشمالي، ومن هذا الأخير ندخل إلى الغرفة الثانية، والتي تبلغ مقاساتها(2×2,30م)، وهي الأخرى تنفتح على الغرفة الثالثة(2,30×4م)، وعبر باب عرضه ١م مفتوح في جدارها الغربي ندخل إلى الغرفة الرابعة، وهي ذات مقاسات تقدر بـ(2,30×3,50م).
وعلى بعد 7,5م من هذه الغرف وفي اتجاه الشمال توجد بقايا برج يبلغ سمكه في القاعدة 1,65م وفي الأعلى 1,5م، توجد في أسفله فتحة عبارة عن قناة تسمح بمرور الماء يتراوح عرضها بين٢٣-٢٤سم وارتفاعها ٣٢سم. ومثل ما هو الحال في السبر السابق،

[72]) P.Cadenat, «Recherches à Tihert –Tagdempt», op.cit, P.395-397.

فقد عثر على بقايا متنوعة خاصة منها الفخارية والخزفية، وهي مطلية بألوان مختلفة(احمر اجري واخضر...)([٧٣]).

السبر الثالث كان خارج أسوار المدينة في مكان يتوسط الهضبتين بالقرب من محطة القطار، وقد شمل هذا السبر مساحة ٢٥م^2، وكان الحفر فيه إلى غاية الوصول إلى الأرض البكر، ولم يعثر فيه على بقايا معمارية، في حين تم الكشف عن بقايا فخارية عديدة، وبقايا عظام الإنسان، وقطع نقدية رومانية وإسلامية، لكن حالتها لا تسمح بقراءتها جيدا، وبقايا زجاجية ومعدنية وحلي([٧٤]).

ومن الملاحظات التي سجلها كادنا(Cadenat) من خلال اسباره هذه، انه لم يعثر على بقايا الفحم او أي إشارة تدل على حريق مس المدينة، مما يعني أن قلعة الأمير عبدالقادر لم تبن فوق هذه الهضبة وإنما في الهضبة الجنوبية، باعتبار أن العدو لما هاجمها وجد الأمير قد خربها واحرقها([٧٥]).

الحفرية الثانية قامت بها السيدة معطاوي(سوفاي)([٧٦])، واكتشفت على إثرها حمام، غير أنها هي الأخرى لم تكتمل، الأمر الذي صعب من الحصول على مخطط كامل للحمام(انظر الشكل رقم٦ والصور رقم٨-٧)، وتتكون الأجزاء المكتشفة من رواق (1,80×4,70م) يتجه من الغرب إلى الشرق، وهو يفضي إلى جناحين، الأول ندخل إليه عبر باب فتح في ضلعه الشمالي(0,70م)، ومنه نصل إلى الغرفة الأولى(1,90×3,80م)، أرضيتها مبلطة بالآجر، وفي وسطها توجد فتحة يصل قطرها إلى(0,20م)، من المحتمل أنها وضعت لتسمح بتسرب الماء إلى القنوات التي في أسفل الحمام، وفي وسط الجدار الشمالي من هذه الغرفة فتح باب(0,70م) مماثل وعلى نفس المستوى مع الباب الأول، وعلى جانبيه توجد دخلتان، تقدر مقاسات كل واحدة منهما بـ(0,80×0,90م)، وهما مفتوحتان من جهة واحدة فقط على الغرف، مما يجعلنا نحتمل أنهما كانتا تستخدمان لنزع الملابس.

الغرفة الثانية(2,10×3,60م) تتكون من مستويين، الأرضي ينخفض عن مستوى أرضية الغرف بحوالي ١م، أرضيته مغطاة بالملاط، وقد فتح في جداره الشمالي والجنوبي فتحتان متقابلتان تخترقان سمك الجدار تسمحان بمرور الماء والبخار إلى الغرف المجاورة. المستوى الثاني مبلط بصفائح حجرية غير منتظمة الشكل يصل سمكها إلى ١٠سم، فتح في ركنه الجنوبي الشرقي باب عرضه(0,70م) يؤدي إلى الغرفة الثالثة(2,10×٤م)، وعلى يسار الداخل يوجد حوض مربع يحتل الركن الشمالي

---

[73]) ibid, P.397-398.

[74]) ibid, P.398-399.

[75]) ibid, P.398-414.

[٧٦]) لم نعثر على تقرير هذه الحفرية منشورا أو غير منشور وقد استفسرنا من صاحبة الحفرية وأعلمتنا أن التقرير لم ينشر على الرغم من مرور ما يزيد عن ١٥سنة من إجراء الحفرية.

الغربي من الغرفة، وهو مبني بالآجر، وذو شكل مربع(1,10×1,10م)، وبجانبه قناة تخترق الجدار الشمالي الذي يبدو انه الجدار الخارجي للحمام، حيث يبلغ سمكه ١م، القناة تمر عبر فتحة معقودة عرضها(1,40م) وارتفاعها ١م.
والى جانب الغرفة الثانية في الناحية الشمالية توجد غرفة بمقاسات(2,30×4,50م)، تظهر منها بعض الأجزاء فقط، الأمر الذي لم يسمح لنا بتحديد مداخلها ووظيفتها، ولا يبدو أنها منعزلة عن الحمام، فهي متصلة بالغرفة الثانية عن طريق القناتين التي سبق ذكرهما والمفتوحتان في المستوى الأرضي من الجدار الشمالي لهذه الغرفة. الجناح الثاني من الحمام يأتي في نهاية الرواق الرئيسي، ويجد الداخل على يمينه قاعة كبيرة لم تكشف الحفرية عن كامل أجزائها، يقدر طولها بحوالي6,5م وعرضها3,9م، ويقابل بابها رواق صغير عرضه0,9م يتجه نحو الشمال، وفي نهايته توجد دخلة ضيقة(0,95×3,10م) مفتوحة كلية على هذا الرواق، وقبلها غرفة مفتوحة هي الأخرى 1,45م في مقدمتها على الرواق، ثم تنغلق بواسطة جدار بارز بمقدار ١م، ليتشكل عن ذلك باب عرضه1,20م، ومنه ندخل إلى الجزء المتبقي من هذه الغرفة، والذي يقدر طوله1,10م وعرضه2,20م(انظر الشكل رقم٤).وعلى العموم فان هذا الحمام استعمل في بنائه الحجارة والآجر الذي تقدر مقاساته بـ٢٨×١٤×٤م، وفرشت أرضيته أحيانا بالملاط، وأحيانا بصفائح حجرية، وأحيانا أخرى بالآجر، كما ان سمك سوره الخارجي يتراوح بين(0,90و1,20م)، كما يلاحظ أن هذا السور دعم في بعض جهاته من الداخل بصف من الآجر، قد يكون هذا ناتج عن أعمال ترميم خضع لها الحمام في فترة لاحقة، ويقدر سمك الجدران الداخليةالتي تفصل بين بعض الغرف بـ(0,30×0,40م)

٦-البقايا الأثريةلتاقدمت الأمير عبدالقادر: يغطي الجزء العلوي لموقع قلعة الأمير عبدالقادر بقايا بعض الأسوار وركام من الحجارة، أما الجزء السفلي فقد بنيت فيه قرية فلاحية منذ سنة ١٩٧٦م، ولم يبق من المنشآت سوى بعض أساسات القصبة وجزء مردوم من الحصن والحمام الذي وضع حوله سياج.

أ- القصبة: من خلال المعاينة الميدانية للموقع، فانه لم يعثر على أي شيء من أنقاض القصبة باستثناء بعض الأحجار المتناثرة هنا وهناك. وهي عبارة عن حجارة غير مهذبة يبدو عليها آثار الملاط المشكل أحيانا من طينة حمراء وأخرى بيضاء، مما يدل على أنها كانت مستعملة في بناء القصبة، يضاف إلى ذلك بقايا أجزاء من السور الشرقي الذي لا يتعدى طوله الحالي٤م وسمكه٢م وارتفاعه ٠،٥م. وقد أجريت عدة حفريات([٧٧]) حول هذه القصبة

[٧٧])من بين تلك الحفريات نذكر: حفرية مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) التي قاما بها في سنة ١٩٤١، انظر:

G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P.24-57.

أسفرت على نتائج جد ايجابية من بينها وضع مخطط له والذي من خلاله سنحاول تقديم وصف للقصبة مع الاستعانة بالوصف الذي قدمه مارسي(Marçais) ولامار(Lamar)، وما يلاحظ على هذا المخطط هو أننا لا نجد له أثرا في الواقع(الشكل رقم٥).

تأخذ القصبة شكلا مستطيلا، يبلغ طولها في الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية ٦٦م، أما الجهة الجنوبية الشرقية والشمالية الغربية فيبلغ طولها ٣٣،٦٥م، تشغل زواياها أبراج بارزة إلى الخارج، سمك أسوارها يتراوح بين ١،٤٤و١،٥م ، بنيت بالحجارة والدبش.

وللقصبة مدخل واحد من الجهة الشمالية الشرقية، يبعد قليلا عن وسط الجدار وينفتح على سقيفة عرضها ٢،٤٤م وطولها ٥،١٠م ، على جانبيها مقاعد حجرية مكونة من صفين متقابلين كل واحد في جهة، وفي وسط كل مقعد توجد كتلة من الآجر، كانتا في الأصل تشكلان قاعدتين لدعامتين أو ساريتين ترتفع فوقهما قوسان تزينان السقيفة، ويعلوهما قبو اسطواني.

تفتح السقيفة على ساحة أو فناء واسع مستطيل الشكل مقاساته لا تقل عن ٢٠م عرضا و٥٣م طولا، أرضيته مغطاة ببلاط بقيت منه بعض الأمتار المربعة، ولسوء الحظ أن هذا الفناء قد تعرض للحفر والتخريب.

تحيط بالفناء في الواجهات الأربع غرف منتظمة ومتجاورة ذات أشكال ومقاسات مختلفة، ويمكننا القول بان عرض الواجهات الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية تقريبا ثابت ويقدر بحوالي ٦م([٧٨]).

في الواجهة الشمالية الشرقية وعلى يسار رواق المدخل توجد قاعتان متجاورتان(الشكل رقم٥: ٤، ٥) عرضيا، أرضيتهما مبلطة بالآجر المدقق والجبس، أما جدرانهما فقد كسيت بطلاء ناعم، تتقدمهما شبه قاعة بني في طرفيها سوران يمتدان بالموازاة مع حائطي القاعتين، وينتهيان عند مدخل كل واحدة منهما، كما تتقدم المساحة الفاصلة بين مدخلي القاعتين مجموعة من الدعامات أو السواري، يفترض أنها كانت خشبية تشكل ظلة لقاعتي الاستقبال، كما يفترض وجود طابق ثاني له نفس تخطيط الطابق الأرضي مشكل من رواق وقاعتين([٧٩]).

في الواجهة المقابلة للمدخل توجد بنايتان متجاورتان(الشكل رقم٥: ١٦، ١٧) لهما نفس التخطيط والمقاسات، ندخل إلى كل واحدة منهما عبر مدخل يؤدي إلى غرفة وسطية

- وحفرية الباحث كدنا Cadenatسنة ١٩٧٩، انظر:– P.Cadenat, Recherches à Tihert Tagdempt, op.cit, P.394-395.

78) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P46.

79) ibid, P48.

تنفتح على غرفتين جانبيتين لها بواسطة بابين، وتؤدي إحدى غرف كل بناية من البنايتين إلى غرفة رابعة (الشكل رقم٥: ١٥، ١٨) تحتلان نهاية طرفي الواجهة.
كل هذه الغرف ذات مقاسات متقاربة جدا، عمقها حوالي ٤،٥٠م وعرضها يتراوح بين ٢و٢،٥م، يحتمل أنها كانت مغطاة بعوارض خشبية أو بأقبية متجاورة.
في الغرفة رقم ١٧(الشكل رقم٥) نجد في نهاية عمقها حجرة صغيرة بنيت بحائط سميك متقن البناء ومطلي، تحتوي أرضيتها على طبقة سميكة من الرماد، يحتمل أنها المفحمة التي أشار إليها بودانس([٨٠]) ويعتبر مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) هذه الحجرة موقدا لتحضير طعام ضيوف القصبة([٨١]).
كما نجد في الغرفة رقم١٥(الشكل رقم٥) التي تقع في الزاوية الجنوبية من الواجهة والمغطاة بقبو مهدي نجد فيها دكة أو سقيفة خشبية ترتفع عن أرضية الغرفة بـ١،٢م، وبينها وبين القبو المهدي الذي يشكل سقف الغرفة ١،٤م، ويفترض مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) أنها استخدمت كمخزن أو مرقد لأحد الحراس([٨٢])، لكن إذا عدنا إلى نص الدكتور بودانس الذي زار القصبة بعد تحطيمها، فإننا نجده يقول بأنه ظهرت غرفة الأمير التي كان يسكن فيها وان فيها مفحمة([٨٣])، ومنه يمكن أن تكون هذه الدكة أو السقيفة مرقد الأمير، وان بنايتي الجهة الغربية المقابلة لمدخل القصبة كانتا مخصصتين للأمير ولقادته البارزين.
تتكون الواجهة الجنوبية الشرقية من خمس قاعات كبيرات جدا، عمقها ثابت ويقدر بـ٤،٣٧م أما عرضها فيختلف من غرفة إلى أخرى، الغرفة الأولى (الشكل رقم٥: ٨) الموجودة في الناحية الشرقية عرضها يبلغ ١٩،٥٦م، بينما الغرفة الأخيرة (الشكل رقم٥: ١٣) الموجودة في الناحية الجنوبية فان عرضها لا يتعدى ٣،٢٧م([٨٤]). وتتميز غرف هذه الواجهة باختلافها عن بعضها البعض في التخطيط، فمنها ذات باب واحد كالغرف ٨،١٢و١٣(الشكل رقم٥)، ومنها ذات مدخلين كالغرفة١١(الشكل رقم٥)، وهناك غرفة مشكلة من غرفتين ندخل إليها عبر مدخل واحد يؤدي إلى غرفة كبيرة، مفتوح في ركنها الجنوبي الغربي باب يؤدي إلى غرفة صغيرة.
أما الجزأين المتبقين من هذه الواجهة –الجنوبية الشرقية-والمتمثلين في ٧ و١٤ (الشكل رقم٥) فإننا نجهل وظيفتهما ومقاساتهما، ويمكن أن يكون الجزء رقم١٤ ممرا كان يؤدي إلى خلف بنايات الواجهة الغربية التي يبدو لنا أنها غير مدمجة مع حائط القصبة.

---

[٨٠]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٣٢.
[81]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P.49-50

[82]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P50.
[٨٣]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص ١٣٢.
[84]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P50.

ويحتمل حسب مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) أن غرف هذه الواجهة –الجنوبية الشرقية – استخدمت كمراقد للجنود النظاميين أو إسطبلات([٨٥]).
تختلف تماما الواجهة الشمالية الغربية من حيث التخطيط عن سائر الواجهات الأخرى، فهي مشكلة من ثلاث كتل بنائية مستطيلة الشكل، كل كتلة مكونة من رواقين أو غرفتين متجاورتين طوليا ضيقتين تغطيهما أقباء مهدية، والملاحظ على هذه الغرف أنها على شكل دهاليز، فهي منخفضة بـ١،٩م عن مستوى أرضية الفناء، ولا ترتفع عنه سوى بـ٠،٦٦م، كما تتميز الغرف المحاذية لسور القصبة بانخفاضها الشديد عن الغرف المحاذية للفناء([٨٦]).
ندخل إلى الكتلة الأولى(الشكل رقم٥: ٢٧،٢٨) عبر ثلاث فتحات ضيقة نوعا ما، استعملت كممرات للأشخاص أو للأشياء، ولا ندري كيف يتم الدخول إلى الغرفة الثانية الموازية لحائط القصبة، ويفصل هذه الكتلة عن الكتلة الثانية رواق رقم٢٦ (الشكل رقم٥)به سلم يسمح بالنزول إلى الفناء.
أما الكتلة الثانية(الشكل رقم٧: ٢٤،٢٥)فلها نفس تخطيط الكتلة السابقة، وتتميز عنها في وجود مدخل مستقل لكل غرفة من الغرفتين وهما يفتحان على رواق(الشكل رقم٥: ٢٣) أمامي يفصل هذه الكتلة عن الكتلة الثالثة، والرواق هذا له نفس تخطيط الرواق السابق رقم٢٦، ويحتمل أنهما كانا يؤديان إلى طابق ثان([٨٧])، وما يؤكد هذا الافتراض قول دوماس(Daumas) في رسالة مؤرخة بـ١٧جوان ١٨٣٨ بأنه يجري بناء طابق ثاني للقصبة([٨٨]).
الكتلة الثالثة(الشكل رقم٥: ٢١،٢٢) شبيهة التخطيط مع الكتلتين السابقتين، غير أن هناك اختلافا طفيفا يكمن في ان الغرفة المحاذية للفناء مقسمة إلى غرفتين إحداهما اكبر من الأخرى ولا ندري من أين كان يدخل إلى هذه الكتلة.
ويلي هذه الكتلة ممر٢٠ مماثل للمر١٤ المقابل بالجهة الجنوبية يمكن أن يكون مدخلا ثانيا بالجهة الغربية المشرفة على المدينة.
كانت الكتل الثلاث التي تشكل الواجهة الغربية بالنسبة لفناء القصبة حسب مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) تستعمل كمخازن ومستودعات للمؤونة التي حفظت بها تحسبا لأي حصار، وربما استخدمت أيضا كمخازن للأسلحة والذخيرة الحربية([٨٩])، ومادامت منخفضة عن مستوى أرضية الفناء فهي شبيهة بالدهاليز وهذا ما

85) ibid, P50.
86) ibid, P50.
87) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P50.
88) G.Yver, op.cit, 1912, P224.
89) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P51.

يذكره دوماس(Daumas) وكريستيان(Christian) بان لقصبة الأمير دهاليز كانت تستخدم كمخازن ومستودعات([٩٠]).
ولقد تعرضت لوصف هذه القصبة مجموعة من النصوص التاريخية، حيث يسميها دوماس(Daumas)بالحصن الكبير ويقول عنها بأنها على شكل مربع طول ضلعيها الشمالي والجنوبي ١٥٠م، والشرقي والغربي ٨٠م، وارتفاع سوريها الشمالي والجنوبي ١٥ قدما(٥م)([٩١])، بينما يتراوح ارتفاع السورين الآخرين بين ٢٥و٣٠قدما(٨،٥و١٠م)، وقد بلغ سمكها ثلاثة أقدام فتحت في زواياها الأربع فتحات ، وفيها كان مسكن الأمير، وحوانيت وسراديب ومعمل الأسلحة والنقود، وثلاث وعشرون غرفة تتسع لإيواء ألف وثمانمائة جندي، وفيها مخازن الأسلحة والرصاص والكبريت ومواد البناء ([٩٢]).
ويصفها كريستيان(Christian) قائلا بأنها على شكل مربع، لها باب واحد، سمك أسوارها يتراوح بين١و١،٥م، وارتفاعها بين ٥و٧م، أما طولها فيتراوح بين ٥٠و٦٠م، في كل ركن من أركانها برج، يتوسطها فناء تحيط به أروقة ودهاليز كانت مستعملة كمخازن([٩٣]).
أما بودانس فيسميها بقصر الأمير ويقول عنها بأنها كانت تقع في وسط أرخبيل من البنايات، وهو عبارة عن قصبة مربعة الشكل، محاطة بأسوار ضخمة وعالية ذات شرافات، وكانت في غرفة الأمير مفحمة ملاصقة للجدار([٩٤]).
ويصفها ماصو(Massot) بأنها عبارة عن دار رديئة البناء([٩٥])، في حين يقول عنها ايميريت(Emerit) بأنها حسنة البناء، وهي ذات مقاسات تقارب ٥٠م طولا و٢٠م عرضا، وكانت تحرصها مدافع، وهي مؤلفة من غرف منتظمة ومخازن السلع الحربية والخيام وما شابه ذلك([٩٦]).

---

[٩٠]) انظر كلا من: G.Yver, op.cit, P204. P.Christian, L'Afrique Française l'empire de Maroc et les déserts de Sahara, Paris, 1846, P389.

[٩١])القدم: وحدة قياس طول انجليزية تساوي ٣١١ياردة وتساوي١٢ابهام وتساوي٣٠،٤٨سم او٣٣سم.

[92]) G.Yver, op.cit, P204.

[93]) P.Christian, op.cit, P389.

[٩٤]) نقلا عن: J.Canal, «Tiaret monographie ancienne et moderne»,in bulletin de société de géographie de la provaince d'oran, xx , (1900), P.42-43.

انظر أيضا: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٣٢.

[95]) P.Fourrier, «l'état d'Abdelkader et Sa puissance en 1841 d'après le rapport du sous intendant militaire Massot», in Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine, XIV,(1967), P144.

[96]) M.Emerit, L'Algérie à l'époque d'Abdelkader,Paris,S.D, P289.

ويتحدث ايسكوت عن المباني الحكومية فيقول بأنها محاطة بأسوار مربعة، يبلغ طولها ١٥٠ياردة(٥٠م)([٩٧]) وعرضها مثل ذلك، وفي نطاق هذه الأسوار تقع دار الصناعة – صناعة الأسلحة-وقاعة المحكمة، حيث يجلس السلطان نفسه كما كان يفعل الملوك في العهود السابقة، ليفصل في القضايا بين المتخاصمين ويقضي بالعدل([٩٨]).

ومن خلال هذه الأوصاف نرى بان المصادر قد اختلفت في تحديد مقاسات القصبة، فدوماس يجعلها ١٥٠×٨٠م، وكريستيان تتراوح بين٥٠و٦٠م، ووزارة الحرب الفرنسية تحددها بـ٥٠×٢٠م، ويبدو أن القياسات التي حددها كل من مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) و المتمثلة في٦٦×33,65م([٩٩]) هي الأقرب إلى الصواب، باعتبارها ناتجة عن حفرية أقيمت في الموقع.

وانطلاقا مما سبق يمكن القول بان القصبة كانت عبارة عن بناية ذات شكل مستطيل مكونة من طابقين لها مدخلان احدهما شرقي يطل على باقي المنشآت العسكرية بالقلعة، والثاني غربي يطل على المدينة التي بنيت في أسفل الهضبة، وضعت في أركانها أربعة أبراج بارزة عن الحائط وهي مبنية فوق سطح القصبة مباشرة، كما كانت جدرانها تنتهي في الأعلى بشرافات مسننة، وقد فتحت في جوانبها العليا فتحات.

أما من الداخل فقد كانت مشكلة من فناء مستطيل الشكل محفوف من كل جهة بصف من العقود المرتكزة على الدعامات، وقد فتحت على جوانب تلك العقود أبواب توصل إلى مجموعة من الغرف والدهاليز ذات الأشكال والأغراض المختلفة، وقد كان طابقها الثاني شبيه التخطيط مع الطابق السفلي ماعدا بعض الاختلافات البسيطة والمتمثلة في انعدام الدهاليز بالطابق الثاني(انظر الشكل رقم٦).

ب- الحصن:

يعتبر الحصن ثاني مبنى من المباني العسكرية التي بناها الأمير عبدالقادر بقلعة تاقدمت بعد القصبة، وهو يقع في الجهة الشرقية من القصبة يبعد عنها بحوالي ١٥٠م، وقد بقي الجزء الشمالي من طابقه السفلي وهو مطمور في التراب، تمكنا من الولوج إليه حيث يبلغ طوله٨،٩٢م وعرضه من الداخل٢،٣٠م، وهو مغطى بقبو مهدي تتخلله ثلاثة أقواس منكسرة ترتكز على دعامات ملتصقة بالحائط أنشئت لتدعيم القبو، وله مدخل رئيسي في الركن الشمالي الشرقي عرضه يقدر بـ١م وارتفاعه الحالي يتجاوز ١،٢م نهايته العلوية على شكل نصف قوس وهي في نفس المستوى مع القبو، وعلى بعد ٠،٥٥م وفي الواجهة الجنوبية من هذا المدخل يوجد مدخل ثانوي يحتمل انه كان يؤدي إلى غرف الجزء الشرقي من الحصن، ويبلغ عرض هذا المدخل١م وارتفاعه ينتهي عند بداية القبو وبشكل مستطيل على عكس المدخل الرئيسي، وبالقرب من هذا المدخل

---

[٩٧]) الياردة: وحدة قياس طول تساوي ٣١١م.

[٩٨]) الكلونيل ايسكوت، المصدر السابق، ص٨٨.

[99]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P44.

الثانوي(٠،١٥م) يوجد عقد نصف دائري يرتكز على دعامة ملاصقة للحائط، كما يوجد عقد ثاني يبعد عن الأول بـ١،٤٥م، و يليه عقد ثالث يبعد عنه ب٣،٢٠م، وقد جاءت تلك العقود الثلاثة مشابهة لبعضها البعض في الشكل والتخطيط(انظر الشكل رقم٧). وفي نهاية هذا الجزء توجد فتحة تؤدي إلى مدخل منكسر مسدود حاليا بالرديم ، يعتقد أنه كان يؤدي إلى جزء ثاني من الحصن مطمور تحت الأرض هو الآخر.

وقد شيد هذا الجزء بنوعين من الحجارة المشذبة وغير المشذبة(الدبش)، فأما الأولى فنجدها في الأجزاء السفلية بينما استعمل النوع الثاني في الدعامات والعقود والقبو، وقد كسيت الجدران الداخلية بطبقة غير ملساء من الملاط المشكل من طينة يميل لونها إلى الاحمرار.

أما الطابق العلوي فمازالت بعض أسس جدرانه ظاهرة فوق سطح الأرض مكنتنا من تحديد مقاسات الحصن الإجمالية والتي تقدر بـ٢٣×٢٣م (انظر الشكل رقم٨)، وهو مكون من غرف جانبية تحيط بفناء مركزي، تحتوي الجهة الجنوبية على غرفتين إضافة إلى غرفة ثالثة بارزة إلى الفناء، مقاسات الغرفة الأولى تقدر بـ ٨×٤،٥م والثانية ١٢×٤،٥م أما الثالثة فهي ملاصقة للغرفة الأولى ولها نفس المقاسات(٨×٤،٥م).

تتكون الجهة الشرقية من ثلاث غرف مستطيلة الشكل تبلغ مقاسات الغرفة الأولى منها ٧،١×٣،٦م، والثانية ٦،٥×٣،٦م والثالثة٤،٥×٣،٦م، وما يلاحظ على غرف هذه الجهة أنها بارزة عن الطابق الأرضي بحوالي واحد متر وأنها غير متصلة بالركن الشمالي الشرقي والشمالي الغربي.

أما الجهة الشمالية والتي تعلو الجزء المتبقي من الطابق الأرضي من الحصن، فهي مكونة من غرفتين، مقاسات الأولى تقدر بـ٨،١×٣،٥م، والثانية ٨×٣،٥م، ونفس الشيء بالنسبة للجهة الغربية فهي الأخرى مكونة من غرفتين تبلغ مقاسات الأولى٩×٤،٦م والثانية٨،٨×٤،٦م.

وقد كان هذا الحصن حسب دوماس(Daumas) يدعى بمخزن السلطان، وهو على شكل مربع كامل عبارة عن مستودع مغلق تحت حماية القصبة والمعقل، وفيه كانت توجد حامية تقوم بحراسته كما يوجد فيه سجن ومخازن للسمن والزيت والعسل والبارود والقذائف([100]).

ويذكر ايميريت(Emerit) بان هذا الحصن أقيم للعمال الفرنسيين، وقد كان يضم مجموعة من الآلات الحربية المرسلة من باريس، ومصنع سك النقود ومصنع القذائف ومخزونات القمح والشعير والخيام والزبدة، كل هذه المخزونات كانت موجودة في هذا الحصن الذي كانت تحميه قطعتان من المدافع ذات عيار ٦ ومدفعيان من نوع الهاون وثمانية من البارودیات([101]).

---

[100]) G.Yver, op.cit, P.204-205.

[101]) M.Emerit, op.cit, P283.

ويصفه دي فرانس قائلا: "بأنه على بعد خطوات إلى الشرق من القصبة، وقد أمر الأمير برفع أنقاض خزان قديم مقبب وواسع للغاية، وقد علمت بعد ذلك بان الأمير عبدالقادر اتخذه مستودعا لكميات من الحديد والرصاص والبارود وملح البارود والكبريت، ولإبعاد الريب والشبهات سد الباب بجدار وبنى فوقه ما يشبه بيتا من الخص في شكل عنبرة(غرفة) للحراسة، ولقد شارك في رفع أنقاضه نحو عشرة جنود"([١٠٢]).
وزارة الحرب الفرنسية هي الأخرى تقول بأنه يوجد مقابل باب القصبة، وهو عبارة عن دار مربعة يسميها العرب بالحصن الصغير، وهو يضم مصنع العمال الميكانيكيين والسلاحين جلبهم الأمير من فرنسا([١٠٣]).
ومن خلال ما سبق يمكننا القول بان هذا الحصن كان ذو شكل مستطيل مكون من طابقين، الطابق السفلي يحتوى على مجموعة من الغرف تطل على الفناء غطيت في الأعلى بأقبية مهدية محمولة على دعامات حائطية وعقود منكسرة، أما الطابق العلوي فيمكن انه كان مشابه للطابق الأول من حيث التخطيط، وقد بنيت فوق الطابقين غرفة في شكل برج للحراسة يحتمل أنها كانت تقع في الركن الشمالي الشرقي(انظر الشكل رقم٩).

ج- الإسطبل:

يعد الإسطبل أول المنشآت المعمارية التي بناها الأمير عبدالقادر بقلعة تاقدمت([١٠٤])، وقد كان يطلق عليه حسب بعض المصادر التاريخية([١٠٥]) مصطلح المعقل لكننا نميل إلى تسميته بالإسطبل انطلاقا من الوظيفة التي كان يؤديها. وهو يقع في الركن الجنوبي الشرقي من الهضبة وعلى مسافة تقدر بحوالي ٢٠م من الحصن، يحده من الجهة الجنوبية منحدر مشكل من مجموعة من الصخور والكتل الحجرية الكبيرة مما يزيد من حصانته ومناعته، كما أحيط من الجهات الثلاث المتبقية بخندق طمرت أجزاء منه بالرديم، ويبلغ عرضه حوالي٤م وعمقه الحالي لا يتجاوز ١،٥م.
والإسطبل ذو شكل مستطيل بقيت منه بعض الأسس التي لا يتعدى ارتفاعها الحالي ٠،٢م، تمكنا من خلالها تحديد مقاسات الإسطبل والتي تقدر في الضلعين الشمالي والجنوبي بـ٥١م والضلعين الشرقي والغربي٣٧م.
وقد تعرضت لوصف هذا الإسطبل مجموعة من المصادر حيث يقول دي فرانس الذي كان شاهدا على أولى البنايات التي شيدها الأمير بتاقدمت مايلي: "كان العمال يحفرون

---

[١٠٢]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير ، المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

[103]) Ministère de la Guerre, tableau de la situation des établissements français dans l'Algérie, Paris, 1839, P314.

[١٠٤]) رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

[١٠٥]) من بين تلك المصادر نذكر: G.Yver, op.cit, P.204-205.
- ودي فرانس نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٢٨.

خندقا حول مساحة قدرها أربعون مترا، وكانوا يطرحون التراب في المكان الذي أقيم فيه المعقل تماما كما نفعل عندما نبني حصنا صغيرا، وكان هذا الحصن معدا لإيواء حامية عسكرية لكي تحمي العمال، وكان العرب ينسحبون ليلا ليحتموا من الضباع والذئاب".

ويواصل دي فرانس قائلا بأنه وضع في وسط مائل تشرف عليه أنقاض القلعة القديمة – الرستمية-وربوة صغيرة، تنفذ منها الأبصار إلى داخله، بحيث يمكن إجبار الحامية على مغادرته دونما حاجة إلى مدافع، وقد بلغ عدد العمال الذين ساهموا في بنائه خمسين بين بنائين وسطاحين([١٠٦]).

ويصفه دوماس(Daumas) أيضا حيث يقول بأنه عبارة عن تحصين مؤقت، شيد لحماية العمال من حيث المبدأ، وهناك فتحة تطل على الجنوب يحيط بها خندق يبلغ عرضه وعمقه ستة أقدام، وفي المعقل هذا بغال الأمير وعلفها، كما يحمي المطامير التي تكاد تتصل به([١٠٧]).

د- مصنع النقود:

تجمع المصادر التاريخية أن الأمير عبد القادر أقام مصنعا لسك النقود بتاقدمت وحسب دوماس(Daumas)([١٠٨]) و بودانس([١٠٩]) فان ذلك المصنع كان داخل القصبة، لكن ايميريت(Emerit) يقول بأنه كان داخل الحصن([١١٠])، ويبدو أن قول هذا الأخير هو الأقرب إلى الصواب، ذلك لان القصبة كانت مقرا لسكن الأمير وعائلته وبها محكمة ومكان لاستقبال الزوار.

hkhhوكانت بداية سك النقود حسب بوشناقي في هذا المصنع منذ سنة ١٢٥٢هـ الموافق لـ١٨٣٦-١٨٣٧، ثم انقطعت سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧-١٨٣٨م، لتستأنف بدءا من سنة ١٢٥٤هـ/١٨٣٨-١٨٣٩م إلى غاية سنة ١٢٥٦هـ/١٨٤٠-١٨٤١م([١١١])، ويبدو أن الانقطاع لم يحدث وذلك لان لافوا(Lavoix) نشر قطعة نقدية تحمل تاريخ ١٢٥٣هـ/١٨٣٧-١٨٣٨م([١١٢]).

---

[١٠٦]) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٢٨-١٢٩.

[107]) G.Yver, op.cit, P.204-205.

[108]) ibid, P.104,205-206.

[١٠٩]) نقلا عن رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٣٢.

[110]) M.Emerit, op.cit, P.289.

[111]) M.Bouchenaki, la monnaie de l'émir Abdelkader, S.N.E.D, Alger, 1976, P.30-31.

[112]) H. Lavoix, Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale, Tourni Arnaldo Editore, S.P.A, 1977, II, P.511-512.

ولقد ضرب الأمير عبدالقادر نوعين من النقود من حيث القيمة وهي المحمدية والنصفية، فأما المحمدية فقد سميت نسبة إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأما النصفية فنسبة إلى قيمتها التي تساوي نصف القطعة المحمدية([١١٣])، وقد تنوعت مضامين كتاباتها ونقوشها على الوجه إلى خمسة أنواع:

النوع الأول: "ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" مطلع الآية ٨٤ من سورة آل عمران.

النوع الثاني: "إن الدين عند الله الإسلام" مطلع الآية ١٩ من سورة آل عمران.

النوع الثالث: "ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا" جزء من الآية ٢٤٨من سورة البقرة.

النوع الرابع: " ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين" آخر الآية ١٢٥من سورة الأعراف.

النوع الخامس: "حسبنا الله ونعم الوكيل" آخر الآية١٧٣ من سورة آل عمران([١١٤]).

بينما تشابهت نقوش ظهرها جميعا والتي كانت تضم تاريخ ومكان الضرب وفق الشكل الآتي:

ضرب في
تاقدمت
١٢٥٣([١١٥])

وكما تنوعت الكتابات التي احتوتها نقود الأمير تنوعت أيضا الزخرفة إلى نوعين: نوع زخرف بدائرتين خطيتين تفصل بينهما دائرة مشكلة من نقاط أو حبيبات، ونوع زخرف بدائرتين خطيتين تليهما دائرة نقطية([١١٦]).

وتتميز نقود الأمير عبدالقادر باستعمال نوعين من المعادن وهما الفضة والنحاس، واختلاف أوزانها ومقاساتها، حيث تتراوح أقطارها بين٨و٢٨ملم، وأوزانها بين٠،٤٠و٦،٠٣غرام([١١٧]).

والملاحظ على مضامين الكتابات التي احتوتها نقود الأمير أن لها دلالات عدة تعبر في مجملها عن الظروف التي مرت بها المقاومة، ففي المرحلة المؤرخة مابين١٢٥٢-١٢٥٤هـ/ ١٨٣٦-١٨٣٩م نقشت آيتين من سورة آل عمران(١٩و٨٤) وهما تدعوان صراحة إلى التشبث بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وقد جاءت تلك الدعوة متزامنة مع فترة السلم التي أعقبت معاهدة تافنة(١٢٥٣هـ/١٨٣٧م)، فالأمير عبد القادر رغم عقده

---

[١١٣]) قدور بن رويلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٦٨، ص٤١-٤٢.

[١١٤]) رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٤٣.

[115]) H. Lavoix, op.cit, P.511-512.

[١١٦]) رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٤٤.

[١١٧]) نفسه، ص١٤٤.

تلك المعاهدة إلا انه كان يريد أن يبلغ رسالة وموقفا صريحا ورسميا من خلال نقوده عن رفضه وإدانته للاستعمار الفرنسي وحركته التبشيرية.
أما في المرحلة المؤرخة بين١٢٥٥-١٢٥٦هـ/١٨٣٩-١٨٤١م والتي تضمنت الآية ٢٤٨من سورة البقرة و١٧٣من سورة آل عمران و١٢٥من سورة الأعراف، فهي عبارة عن دعاء موجه إلى الله سبحانه وتعالى ليثبت به فؤاد المجاهدين في سبيله وينصرهم على أعدائهم، وقد جاء ذلك الدعاء مزامنا لفترة استأنفت فيها الحرب والمواجهة بين الأمير عبدالقادر والاستعمار الفرنسي.

هـ- مصنع الأسلحة:

اهتم الأمير عبدالقادر كثيرا بالأسلحة، وأقام لها مصانع من بينها مصنع تاقدمت الذي لم يبق له أثرا يذكر، وقد كان يقع حسب دوماس(Daumas)داخل القصبة(١١٨)، وداخل الحصن حسب وزارة الحرب الفرنسية(١١٩)، بينما ايسكوت وماصو(Massot)وكريستيان(Christian) فيعتبرونه بناية مستقلة عن القصبة وعن الحصن حيث يقول ايسكوت: ومصنع الأسلحة يقع على مسافة بضع مئات من الياردات من السور المحيط، وهو مبني على جانب جدول ينزل من الجبل وينصب في نهر مينة بعدما تستوفي منه تاقدمت حاجتها إلى الماء، وهو على مسافة نحو نصف ميل تحت المدينة...وهذا المصنع أنشأه خبير فرنسي استقدمه الأمير من باريس(١٢٠).
ويضيف كريستيان(Christian)وماصو(Massot)من تأكيد احتمال استقلالية المصنع عن القصبة، فيقول الأول بان مصنع الأسلحة كان مغطى بالقرميد، وهو مكون من ورشة النشر ومن المخازن(١٢١)، أما الثاني فيقول بان:هناك بنايتان مزخرفتان باسم صناعة الأسلحة، ويضيف في موضع آخر أن هناك مبنى صغير خاص بصناعة البارود(١٢٢).
ويشاطر ايميريت(Emerit) أصحاب هذا الرأي حيث يقول بان الأمير أقام مصنعا للسلاح على شاطئ نهر وضعت فيه طاحونة مائية ومنازل خاصة(١٢٣).
ومن خلال هذه النصوص يبدو أن مصنع الأسلحة كان مستقلا عن باقي البنايات، وكان مبنيا على ضفاف نهر مينة، ولا يمكن أن يكون داخل القصبة ولا الحصن.

و- مطحنة البارود:

---

118) G.Yver, op.cit, P204.
119) Ministère de La Guerre, op.cit, P314.
١٢٠) الكلونيل ايسكوت، المصدر السابق، ص٨٨.

121) P.Christian, op.cit, P289.
122) P.Fourrier, op.cit, P145.
123) M.Emerit, op.cit, P289.

كانت تقع المطحنة على شاطئ نهر مينا، مثلما حددها فرنييه(Wernier)(الشكل رقم٣)، لكنه لم يعد لها حاليا وجودا، وقد أشار إليها دوماس(Daumas)في رسالة تحمل تاريخ ١٣اوت١٨٣٨ جاء فيها بأنه تجري المحاولة لإقامة مطحنة للبارود على منوال مطحنة تلمسان التي تنتج على ما يقال قنطارا ونصف قنطار من البارود في اليوم، وكان يشرف عليها عمال فارين من الجيش الفرنسي([١٢٤]).

كما أشار ايميريت(Emerit)إلى هذه المطحنة، وأضافها إلى مصنع الأسلحة ولم يجعلها مستقلة عنه([١٢٥])، ولذلك فان المصنع كان يحتوي على أماكن لصنع الأسلحة ومطحنة بارود ومنازل خاصة بالعمال.

ز- المسجد الجامع:

لقد كانت قلعة تاقدمت تضم مسجدا جامعا ومساجد ثانوية خاصة بالأحياء، لكننا لم نجد له حاليا أي اثر، وقد كان يقع في أسفل الهضبة، والملاحظ أن المصادر التي تتحدث عن هذا المسجد قليلة جدا فيما عدا ايسكوت و بودانس، حيث يقول الأول "بان الأمير عبدالقادر زار تاقدمت في يوم ١٦اوت١٨٤١على الساعة الحادية عشر، ولما نزل على ظهر فرسه عند المسجد الرئيسي الذي يقع على مرمى بندقية من المدينة دخل إلى المسجد، وبقي هناك نحو ساعة"([١٢٦]).

أما الثاني فيقول بان الاستعمار الفرنسي دمر قلعة تاقدمت ولم يبق منها إلا المسجد الذي احترمت حرمته([١٢٧])، غير أن الواقع لا يعكس ذلك وقد تم تدميره كما دمرت سائر المنشآت المعمارية للقلعة.

ح- الحمام:

يعتبر الحمام من بين المنشآت المعمارية التي أنشأها الأمير بتاقدمت وهو يقع في أسفل الهضبة ولازالت آثاره باقية، وقد أجرى فيه ج.مارسي(Marçais) ود.لامار(LAMAR) حفريات ووضعا له مخططا، لكنهما يعتبرانه خزانا للمياه كما سبق الاشارة الى ذلك([١٢٨])، وهو يقع في أسفل الهضبة من الجهة الشمالية الغربية، وهو مكون من أربع غرف ملحقة بها غرفتان(انظر الشكل رقم١٠)، الغرفة الأولى تقع في الجهة الجنوبية من الحمام، وهي مهدمة كليا ولم يبق منها سوى الجدار الشمالي وأجزاء من الأسس يقدر طولها ٧،٧٠م، فتح في وسط ضلعها الشمالي باب يؤدي إلى الغرفة الثانية، ارتفاعه لا يقل عن ٢،٥م وعرضه٠،٨٠م وهو معقود بعقد منكسر بنيت فقراته بالحجارة المشذبة وبطريقة مائلة.

---

124) ibid, P283.

125) M.Emerit, op.cit, P289.

١٢٦) الكلونيل ايسكوت، المصدر السابق، ص١٤٤.

١٢٧) نقلا عن: رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٤٨.

128) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P33.

الغرفة الثانية متجاورة طوليا مع الغرفة الأولى، يقدر طولها ٧،٧٠م وعرضها ٣،٥٥م، توجد في ضلعيها الشمالي والجنوبي أربعة أخاديد مجوفة ومحفورة في الجدارين من الأسفل إلى الأعلى، وقد وضع في كل واحد منهما أخدودان متناظران بالنسبة للباب، أما الجدارين الشرقي والغربي فقد وضع في أسفل كل واحد منهما مقعدا حجريا ممتد أفقيا وبارز عن الحائط بـ٠،٢م.

ومن الغرفة الثانية وعبر باب له نفس المقاسات مع الباب السابق ندخل إلى الغرفة الثالثة وهي الأخرى لها نفس الطول مع الغرفتين السابقتين، بينما يبلغ عرضها ٥،٥٥م، وهي تحتوي على باب فتح في ضلعها الغربي يؤدي إلى الغرفة الرابعة، وهذه الأخيرة تبلغ مقاساتها ٧،٢٥×٢،٩م، وهي تختلف عن الغرف السابقة من حيث الاتجاه، إذ نجدها تتجه نحو شمال - جنوب في حين الغرف السابقة تتجه نحو شرق – غرب، وقد فتحت في أعالي جدرانها فتحات صماء، يحتمل أنها كانت تستخدم كأماكن توضع فيها القناديل والمصابيح لإضاءة الغرفة، ونفس الشيء نجده في سائر غرف الحمام. كما كان لهذه الغرفة باب في الحائط الغربي يفضي إلى خارج الحمام، يعتقد مارسي(Marçais) ولامار(Lamar) بأنه كان يؤدي إلى حوض غير واضح المعالم([١٢٩]).

وأما الغرفتان الملحقتان بالحمام فان آثارهما الباقية قليلة جدا وقد تهدمت معظم أسوارهما، وقد حاولنا أن نضع لهما مخططا إلى جانب الغرف الرئيسية السابقة ونحدد مقاساتهما، حيث تبلغ مقاسات الغرفة الخامسة ٤،٢×٣،٥م، بقي من أسوارها السور الشرقي وجزء من السور الجنوبي يقدر طوله ٢م، في حين يبلغ الجزء المتبقي من السور الشمالي ٠،٨م، أما السور الغربي فهو ساقط على الأرض، وقد كانت تستخدم هذه الغرفة كموقد ويظهر ذلك جليا من خلال الموقد الذي يوجد في ركنها الجنوبي الغربي.

الغرفة السادسة يتعدى طولها ٤،١٠م وعرضها ٢،٥م، بقي جزء من سورها الشرقي يقدر بـ٢،٨م، وجزء من السور الغربي يبلغ ١،٨م، كما بقي منها أيضا جزء(٢،١٠م) من سور موازي لسورها الشرقي ولا يفصله عنه سوى ٠،٣٥م، ولا ندري سبب بناء هذا السور وبهذه الطريقة، كما أننا نجهل أبواب ومداخل هذه الغرفة وسابقتها.

ولقد بنيت تلك الغرف الرئيسية والملحقة على السواء بالحجارة المشذبة وغير المشذبة، حيث استعملت هذه الأخيرة في بناء عقود الأبواب، بينما استعملت الأخرى في بناء الأسوار، وكسيت جدرانها بطبقة سميكة من الملاط المشكل من الطين الحمراء ولا ندري إن كان ذلك الملاط على الصورة التي هو عليها الآن أم انه كان مغطى بطبقة من الجص الناعم، كما يتراوح سمك جدران الحمام بين٠،٩٥ و١،٤م، وارتفاعها الحالي يصل أحيانا إلى ٢م.

ط- المنشآت المدنية:

[129]) G.Marçais et D.Lamar, op.cit, P33.

لم يعد للمنشآت المدنية وجودا فقد اندثرت معالمها كلها، وحسب الصورة الجوية الملتقطة للموقع سنة١٩٧٢ فإنها تظهر أسس بنايات عديدة كانت تحتل الهضبة وأسفلها.
لكن المكان الذي تظهر فيه أسس البنايات المدنية الموجودة في أسفل الهضبة تم بناء قرية فلاحية فيه خلال سنة ١٩٧٦، ولذلك فانه من الصعب جدا –إن لم نقل مستحيلا – العثور على مسكن أو منزل يعود إلى عهد الأمير، على عكس المنشآت الحكومية (القصبة، الحصن والإسطبل) الموجودة في أعلى الهضبة التي لم تبن عليها أية بنايات إلى حد الآن، ولازال مكانها شاغرا وقابلا لإجراء حفريات.
ولقد اهتمت مجموعة من المصادر التاريخية بها، وقدمت لها عدة أوصاف حيث يذكر ماصو(Massot)بأنه كانت توجد على بعد مسيرة ربع ساعة من قصبة الأمير أكواخ مسقوفة بالتبن والقش، بعضها مبني بالحجارة والطوب([١٣٠]).
كما يصفها ايسكوت قائلا: "بأنها تقع على منحدر هضبة في غربي القلعة –القصبة- وتمتد حتى نهاية هذه الهضبة، وهي مبنية بالحجر الصلد والجير، وهي ذات سقوف مسطحة، والشارع الرئيسي الذي لا يزال العمل يجري في تعبيده قد خطط على النمط الأوربي، وهذا الشارع فريد ولم تر عيني قط مثيلا له في افريقية، انه يبلغ ٣٠ قدما في العرض(١٠م)، وفي المدينة مقهيان"([١٣١]).
ويصفها أيضا بودانس بأنها كانت تتألف من خمسمائة إلى ستمائة مسكن ذات طابق واحد ارضي، وهي مبنية بالحجارة غير المنحوتة، سقفت بالقصب ذات شوارع ضيقة جدا بحيث يصعب على شخصين متجابهين أن يمرا بها، وفي أسفل هذه المساكن المتواضعة وفي منحدر اقل حدة بنيت حوالي مئة من المنازل ذات طابع حديث، تماثل في تخطيطها مباني مدينة الجزائر، حيث بنيت على شكل متواز الأضلاع، وهي مكونة من غرف واسعة مطلية بالجير، ومسقوفة بالقرميد وكان يفصل بينها فراغ يمكن لأي ساكن أن يتخذه حديقة([١٣٢]).
ويقول كريستيان(Christian)في هذا الشأن بان الأمير لما كان حريصا على تطوير مدينته ومتعجلا إنجازها أمر بإحراق الأكواخ والمساكن الواهية، واجبر سكانها على إعادة بنائها بالحجارة والنصف العلوي من التراب المدكوك، وكانت تلك المنازل قادرة على استيعاب نحو ألفين ساكن، ويضاف إليها وبعيدا عن القلعة حوالي أربعمائة كوخ([١٣٣]).

---

130) P.Fourrier, op.cit, P146.

١٣١) الكلونيل ايسكوت، المصدر السابق، ص٨٩.

١٣٢) نقلا عن رشيد بورويبة، تاقدمت عاصمة الأمير، المرجع السابق، ص١٣٢.

133) P.Christian, op.cit, P389.

وتصف وزارة الحرب الفرنسية منازل تاقدمت فتقول بأنها تبلغ حوالي ثلاثمائة كوخ مغطاة بالقصب، بنيت في وسطها ثمانية أو عشرة مساكن مغطاة بالقرميد([١٣٤])، بينما يحدد جوليان(Juelien)المساكن التي كانت مغطاة بالقرميد بعشرين مسكنا([١٣٥]).
ومما سبق نرى بان المصادر التاريخية قد اختلفت في تحديد عدد المساكن التي كانت موجودة بتاقدمت والمواد التي بنيت بها، حيث يقدرها بودانس بحوالي سبعمائة مسكن من الحجارة، وكريستيان(Christian)بألفين نصفها حجارة والنصف الآخر طوب أو التراب المدكوك، إضافة إلى ثلاثمائة أو أربعمائة كوخ، بينما نجد الوزارة الحربية الفرنسية تقلل من شانها ومن عددها فتجعلها مكونة من ثلاثمائة كوخ وثمانية أو عشرة ديار من الحجارة.

الخاتمة

وفي الختام نخلص إلى أن موقع تاهرت-تاقدمت كان محل بناء مدينة وقلعة، الأولى كانت في عام ١٣٣هـ/٧٦٠م على يد عبدالرحمن بن رستم الذي اتخذها عاصمة لدولته الرستمية، وهي التي كانت تطلق عليها المصادر التاريخية بتاهرت الحديثة أو السفلى، وقد كانت تحتل الهضبة الشمالية من الموقع، وهي ذات شكل مستطيل، يحيط بها سور تتخلله أبراج وأربعة أبواب، وبداخلها تتوزع الأحياء، و بها مسجد جامع ومساجد ثانوية وقصبة وحمامات وخانات، غير أن هذه المعالم اندثرت وما اكتشف منها يبقى قليلا جدا.
أما القلعة وهي تاقدمت وعاصمة الأمير عبدالقادر والتي كان بناؤها في سنة١٢٥٢هـ/١٨٣٦م، وقد كانت تحتل الهضبة الجنوبية من الموقع وهي تتشكل من القصبة والحصن والإسطبل، وقد وضعنا لهما مقاسات تبقى تقريبية إلى غاية ما يتم إجراء حفريات تكشف عن المقاسات والمخططات الحقيقية للمعلمين، ومنشآت أخرى لم يعد لها وجود مثل مصنع الأسلحة ومطحنة البارود التي كانت على ضفاف وادي مينة، والمسجد الجامع والمساكن والبيوت التي كانت في أسفل الهضبة. بالرغم من بناء الأمير عبدالقادر قلعته في موضع سبق وان عمره الرستميون وشيدوا فيه مدينتهم إلا أن هذا لا يمنع من التمييز بين معالم قلعة الأمير ومدينة الرستميين، ومع ذلك فان ج.مارسي(G.Marçais) ود.لامار(D.Lamar) والذين نقلوا عنهم نتائج حفريتهم وقعوا في الخلط بين هذه المعالم، ونسبوا قصبة الأمير إلى الرستميين، وحمام الأمير إلى خزانات رستمية، إلا انه وبعد الرجوع إلى النصوص التاريخية ومقارنتها بالمعطيات الميدانية ظهرت لنا فرضية ورؤية جديدة حول الموقع، مفادها أن القصبة المكتشفة هي

---

[134]) Ministère de de la Guerre, op.cit, P.314
[135]) Ch.A.Juelien, Histoire de L'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871), Paris, 1964, P185.

من بناء الأمير عبدالقادر وان الخزانات هي حمامات وهي الأخرى من بناء الأمير أيضا.

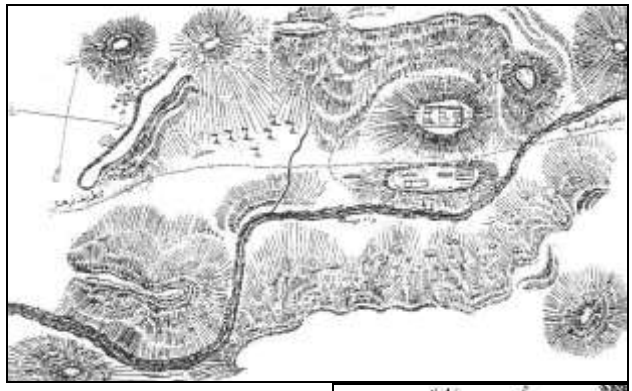

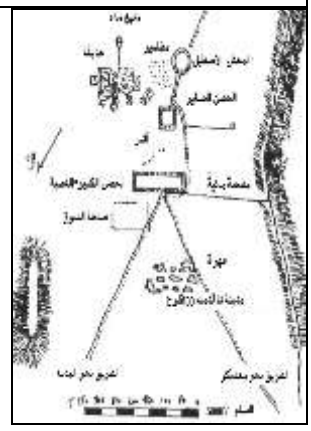

الشكل رقم١: مخطط قلعة تاقدمت في ١٨٣٦

الشكل رقم٢: مخطط قلعة تاقدمت في سنة ١٨٣٨

عن دي فرانسDe France عن فارنييWarnier

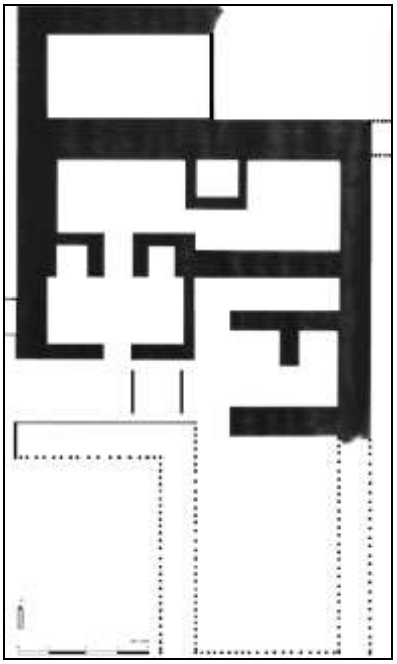

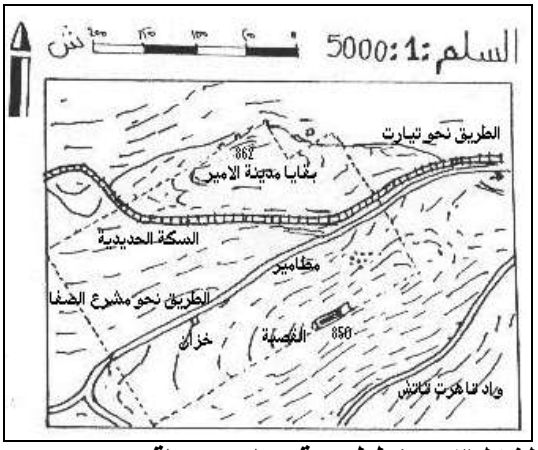

الشكل٣: مخطط موقع تاهرت تاقدمت

الشكل٤: مخطط حمام تاهرت الذي اكتشفته عن مارسيه ولامار

لشكل٥: مخطط قصبة تاقدمت معطاوي من عمل الباحث

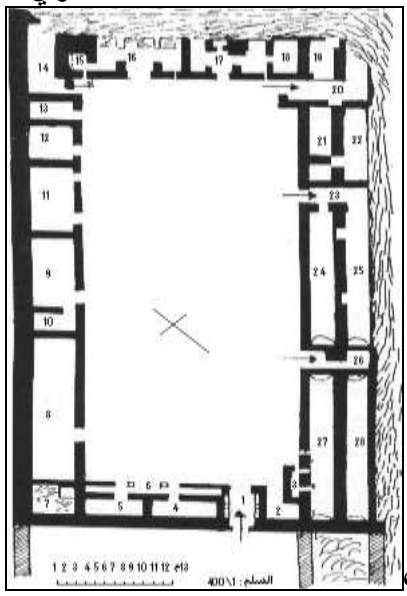

عن مارسي ولامار

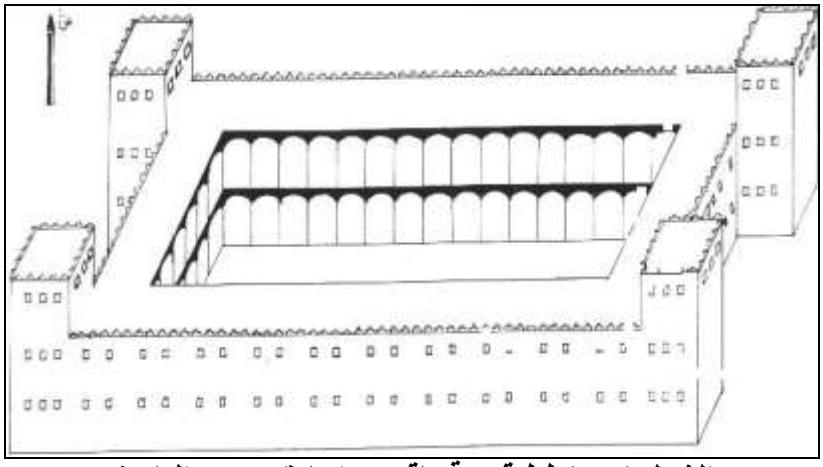

الشكل٦: مخطط قصبة تاقدمت إعادة تصور الباحث

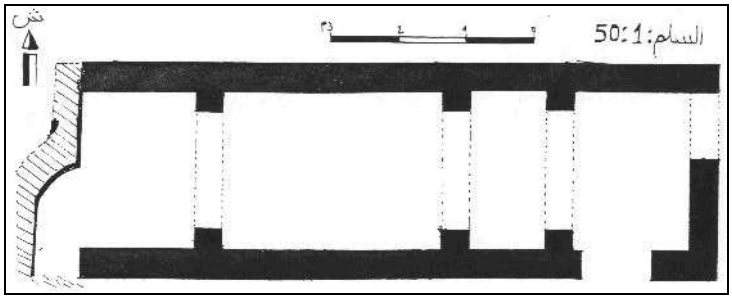

الشكل٧: مخطط الجزء المتبقي من الطابق الأرضي من حصن تاقدمت من عمل الباحث

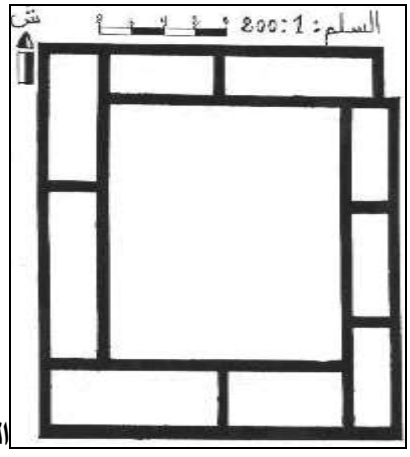

الشكل٨: مخطط الطابق العلوي لحصن تاقدمت من عمل الباحث

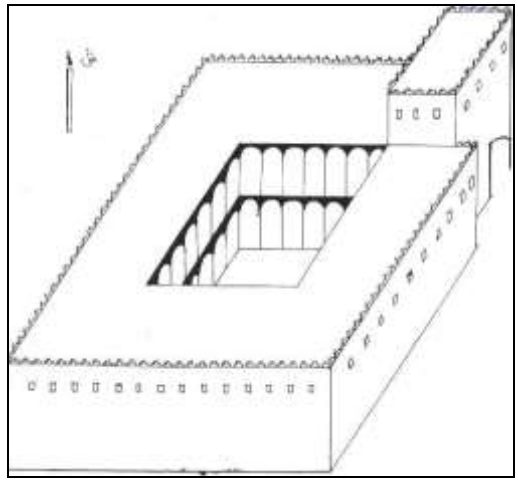

الشكل٩: مخطط حصن تاقدمت إعادة تصور من عمل الباحث

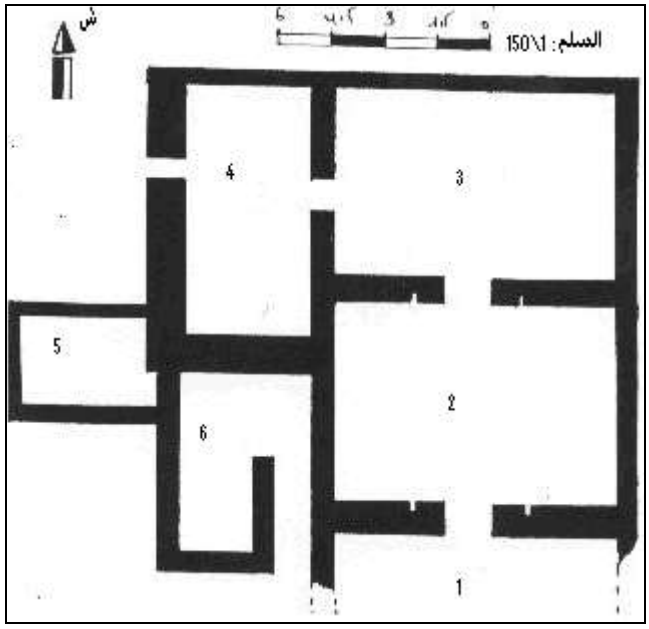

الشكل١٠: مخطط حمام تاقدمت عن مارسي ولامار